أعلام الفقهاء والمحدثين

الحمّادان

حمّاد بن سلمة بن دينار
(٩١ - ١٦٧هـ / ٧١٠ - ٧٨٣م)

وحمّاد بن زيد بن درهم
(٩٨ - ١٧٩هـ / ٧١٦ - ٧٩٥م)

دكتور عصام محمد الحاج علي
دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي
أستاذ مساعد بكلية الآداب في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

الإهــداء

إلى الحمّادين تكريمًا لذكراهما الخالدة...

إلى إخوتي وأخواتي...

رفاق دربي وشركاء سعادتي وعنائي...

وبخاصة: نبيه وأحمد/ إكرام وسهام...

****

***

*

مع خالص حبي

عصام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

يختص هذا البحث بدراسة شخصية كلٍّ من المحدّثين الشهيرين «حمّاد بن سلمة بن دينار» و«حمّاد بن زيد بن درهم» وهما المتعارف عليهما في كتب الحديث باسم «الحمّادين». وقد عمدت إلى دمج هاتين الشخصيتين في بحث واحد لأسباب عديدة منها: أن الرجلين متقاربان تاريخيًا، كما وأنهما متلازمين جغرافيًا، فكلاهما ولد في القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد، كما توفيا في القرن الثاني هـ/ الثامن م. وهما أيضًا من أهالي مدينة البصرة، والأبعد من ذلك؛ أن المادة المتوفرة لدينا جاءت مختصرة جدًا، بحيث لا تَفِي بالغرض، وبالتالي يصعب معها إعداد دراسة مستقلة لكلٍّ من الرجلين.

من جهة أخرى؛ كانت هناك دوافع جوهرية أدّت لاختيار الحمّادين كموضوع بحث علمي أكاديمي، فهي تتلخص في أن هذين المحدّثين قد احتلا مكانة رفيعة بين أئمة الحديث المعاصرين لهما، كما وأنهما كانا يتمتعان بصفات خُلقية وإمكانيات فكرية جعلتهما مميزين بين أقرانهما، فكِلاهما يحمل، وعن كثب، لقب العالِم الفذّ المتبحّر في علم الحديث وغيره من علوم عصرهما.

فحمّاد بن سلمة مثلاً؛ كان عالِمًا بالحديث والعربية، حتى أن سيبويه كان يستملي له، وطالما دمغه حمّاد وأحرجه بين أقرانه، الأمر الذي حَدَا بسيبويه إلى دراسة علم النحو الذي نبغ فيه.

كذلك عُرِفَ ابن سلمة بتفوّقه على جمهرة من الرجال؛ أكان ذلك في الحفظ والإتقان، وحُسْن الحديث، أو في ملازمته للسُّنّة النبوية، كما عُرِفَ بتخصّصه بعدد من كبار المحدّثين، أمثال: ثابت البناني، وحميد الطويل وغيرهما. لهذا كان أعلام الأئمة يلجأون إليه للأخذ عنه، حتى أن شُعبة بن الحجاج سيّد المحدّثين؛ كان يستفيد منه خصوصًا في حديث عمّار بن أبي عمّار، ومحمد بن زياد القرشي، وهذا فخر كبير لابن سلمة لأن شهادة شُعبة في الرجال كان لها وزنها، بخاصة وأنه كان صاحب علم «الجرح والتعديل»، الذي طالما أرعب به رجال الحديث، فكانوا يهابونه ويفرّون منه ومن سطوته.

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد كان ابن سلمة موضع إعجاب وفخر لدى كبار العلماء المعاصرين له، وأول ما يُطالعنا في هذا الصدد؛ أستاذه أيوب السختياني، الذي كان يقول لجلسائه مفاخرًا به: «هاتوا مثل فتانا حمّاد». كما وجد فيه علي بن المديني الرجل القدوة والعالِم المثالي، فقال: «مَن تكلم في حماد بن سلمة فاتهموه في الدين». وهو في رأي الإمام أحمد بن حنبل: «من خيّار عباد الله الصالحين»، لأن مسلكه كان أشبه بمسالك

الأول، بل هو من «الأبدال» لذا؛ قال فيه وهيب بن خالد: «كان سيدنا وأعلمنا». وفوق ذلك كله فقد كان برأي عفان بن مسلم: «أمير المؤمنين في الحديث»، وهذا أكبر الألقاب العلمية التي كان يطمح إليها علماء الحديث.

وأما الدوافع التي حَدَت بنا لاختيار حمّاد بن زيد؛ فيأتي في طليعتها الوضع العامّ للرجل، الذي كان ضريرًا، وعلى الرغم من ذلك؛ فقد كان يحفظ حديثه كله، كما أنه كان، وبشهادة الثقات، لا يخطىء في حديث قطّ، حتى أنه كان يحدّث بحديث سمعه منذ نصف قرن، فهو من أتقن الحفّاظ وأعدلهم وأعدمهم غلطًا على سعة ما روى، علمًا بأن حديثه بلغ أربعة آلاف.

إضافة إلى ذلك؛ فقد كان متخصصًا في حديث أيوب السختياني، حتى قال فيه الإمام الناقد يحيى بن معين: «مَن خالفه من الناس جميعًا في أيوب فالقول قوله». ومما يعزّز مكانته أيضًا؛ ما قاله فيه العلماء والنقاد، فهو أحد العلماء الجهابذة، وهو خليفة شُعبة بن الحجاج الأزدي، وهو أيضًا. «شيخ الشباب»، بل «ليس له نظيرًا في هيئته ودلّه» لذا، أُطلق عليه لقب: «سيّد المسلمين».

وفي يقيني؛ إن هذه الأسباب مجتمعة كانت كافية لحماسي واندفاعي للمضيّ في جمع أخبار الحمّادين، وبالتالي عرضها بعد تحليلها ودراستها بجدية وشغف كاملين من غير أن يردعني عن

جَلَدي ما يدور حولي من أحداث على ساحة جنوبنا الجريح ما دمت أقوم بواجبي وأؤدّي رسالتي الآيلة إلى الكشف بأمانة وصدق عن هوية أعلام الفقهاء والمحدّثين، لأن في كتابتي لتاريخهم تخليدًا لذكراهم، وبالتالي تحقيقًا لطموحاتي العلمية، وإرضاء لتطلعاتي المستقبلية، التي تهدف إلى المساهمة مع مَن ساهم من الباحثين في إزاحة الستار عن تاريخ رجال الأمة المَنسيّين في بطون المصادر وكتب التراث، وبذلك نُعيد إليهم شيئًا من اعتبارهم الضائع، ونذكّر الأجيال بحياتهم المجاهدة التي قدّموها قُربانًا لأُمّتهم.

ولمّا كانت هذه الدراسة تختلف عمّا سبقها من دراسات لشخصيات رائدة في «سلسلة أعلام الفقهاء والمحدّثين» من حيث تناولها لشخصيتين معًا في بحث واحد؛ وجدت من الأجدى أن أجدّد في منهجية توزيع المادة على فصول فقط كما درجت منهجيتي سابقًا، فكان عليَّ والحالة هذه، أن أقسم العمل إلى مقدمة، وتوطئة تاريخية، ثم جعلت صلب الموضوع في بابين، وكل باب ضمّنته عددًا من الفصول، ثم انتهيت بالخاتمة، والملاحق، وثبت للمصادر والمراجع المعتمدة، ثم فهرست الموضوعات.

فالمقدمة؛ تضمّنت دوافع أخبار البحث وأهميته وأهدافه، وخلصت بعرض شامل للخطة المعتمدة.

والتوطئة التاريخية؛ تناولت فيها مُجمَل الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها مدينة البصرة منذ تأسيسها وحتى وفاة حماد بن زيد بن درهم، الذي كانت وفاته متأخرة عن وفاة حمّاد ابن سلمة بن دينار ما يزيد على عقد من الزمان، وتهدف هذه التوطئة إلى تسليط الأضواء على الأوضاع العامّة التي كانت سائدة في مدينة البصرة، ليتبين القارىء من خلالها المحيط السياسي الذي عاش فيه الحمادان، ويدرك الانعكاسات السلبية التي أثرت بشكل أو بآخر في أوضاعهما المعيشية والعلمية، وبالتالي في إنتاجهما الفكري.

وأما الباب الأول؛ فيعالج أخبار الإمام حمّاد بن سلمة، وقد قسمته إلى ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول: نشأته ومكانته الفكرية، وهو يضم محورين، الأول يعرض لمولد حمّاد ونشأته العلمية، والآخر يركّز على مكانته الفكرية.

والفصل الثاني؛ يهتم بحفظ حمّاد بن سلمة للحديث وإتقانه له ويستعرض المآخذ التي سجّلها العلماء عليه، من دون أن ينسى مواقف المُدافعين عنه، الذين بذلوا كل ما لديهم من حجج وبراهين لإظهار براءته من كل ما نُسِبَ إليه.

وفي الفصل الثالث؛ عرضت آخر أخبار حمّاد بن سلمة، فتتبّعت معظم نشاطاته الدينية والسياسية، بما في الأولى من عبادة وتقوى وورع وزهد، وما في الثانية من مواقف نبيلة وشجاعة

أدبية عبّر عنها بين يدي حكّام الأمة، وخلص الفصل بالحديث عن نهاية ابن سلمة بما فيها من أسى الناس وحزنهم عليه، ومن ثم رؤاهم له، وأخيرًا أجرينا تقويمًا له من خلال أقوال العلماء فيه وتبجيلهم له.

وقد خصّصت الباب الثاني؛ لدراسة أخبار حمّاد بن زيد، فجعلته في فصلين فقط، لأنني وجدت صعوبة في جعله ثلاثة فصول كما في الباب الأول، وذلك بسبب تداخل المادة العلمية وانسجام موضوعاتها، كما أن إخراجها بهذا الشكل جعلها أكثر ترابطًا وتكاملاً.

انطلاقًا مما تقدم؛ فقد أعطيت الفصل الأول عنوان: «نشأة حمّاد بن زيد ونشاطاته العلمية»، وتناولت فيه خمسة محاور. في المحور الأول عرضت لمولده ونشأته العلمية، وتناولت في المحور الثاني حفظه وإتقانه للحديث، ثم تلا ذلك، علمه برواة الآثار وناقلة الأخبار، ثم أجريت في المحور الرابع مفاضلة بينه وبين معاصرين، وأخيرًا؛ استعرضت الأقوال والمواقف التي تؤكد على إمامته وتُظهِر أهميته في الفقه. ولا شك؛ أن جميع هذه النواحي ساهمت بشكل أو بآخر في إظهار الطاقات العلمية التي كان يختزنها ابن زيد، كما أكدت على قدراته الفكرية وتمكّنه من اختصاصه.

إضافة إلى ذلك؛ فإن الفصل الثاني قد عالج ثلاثة محاور وجاء تحت عنوان «نشاطه الديني ونهايته ومقارنته بابن سلمة»،

فتناولت في المحور الديني عبادته وورعه ثم موقفه من أهل البدع الذين فضح أمرهم وشهر بهم وحذر الناس من التعامل معهم، وفي نهايته عرضت لوفاته والأقوال التي قيلت في رثائه ثم عرجت على تقويمه ومكانته بين معاصريه. وفي المحور الثالث؛ أجريت مقارنة جادّة ونزيهة بينه وبين حماد بن سلمة وهي مبنيّة على أقوال وحِجَج تُظهِر ما لكل من الحمّادين من إيجابيات وما عليهما من سلبيات.

وأخيرًا: جاءت الخاتمة مُلخصة لأهم النتائج التي توصلت إليه هذه الدراسة، فحاولت من خلالها الكشف عن مكانة الحمّادين بين معاصريهما، دون أن تفوتني الإشارة إلى دورها الريادي في إرساء قواعد علم الحديث والأخذ بناصيته في زمن بدأ المجتمع الإسلامي يفتقد إلى كبار الأئمة والعلماء، ولا شك أن في ذلك دعوة مخلصة للباحثين العرب للاهتمام بهذا الجانب من البحوث العلمية لما لها من أهمية في دراسة التاريخ الاجتماعي.

وأما بالنسبة للمصادر والمراجع المستعملة في هذه الدراسة؛ فهي على الرغم من دورها الفاعل في إغناء جوانب عديدة من هذا البحث، ومساهمتها أيضًا في إلقاء الضوء على شخصية الحمّادين، فإنها، ومع الأسف، لم تَفِ بالغرض، لأنها أهملت، على غير قصد، ذكر جوانب مهمة من تاريخ الحمّادين، فهي - أي المصادر - لم تعرهما أهمية كبيرة، كما وأنها لم تكن

وقية لهما لعدم تناولها تفاصيل حياتهما بالمقارنة مع أئمة آخرين، أمثال: سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم.

وأنا بصدد الحديث عن المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة، فمن المفيد أن أذكر أنه لا ضرورة مُلِحّة لذكرها هنا ما دمت قد أودعتها مفصّلة في آخر هذا البحث، وكل ما أصبو إليه في نهاية هذا العمل، أن أكون قد أدّيت واجبي تجاه أعلام أُمتي، على أمل أن تكون هذه الدراسة المتواضعة جديرة بأخذ ثقة النقّاد والقرّاء العرب، مما يُتيح لها أن تأخذ مكانها في المكتبة العربية.

ويبقى الله وحده وليّ التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

دكتور عصام محمد الحاج علي
النبطية ـ جنوب لبنان
غُرّة محرم ١٤١٦
٣٠ أيار ١٩٩٥

توطئة تاريخية
الأوضاع السياسية في البصرة
منذ تأسيسها وحتى وفاة الحمّادين

وُلد حمّاد بن سلمة بن دينار الربعي في سنة ٩١ هـ/ ٧١٠م بالبصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ ـ ٩٦/ ٧٠٥ ـ ٧١٥)، وتوفي في سنة ١٦٧ هـ/ ٧٨٣ ـ ٤ م في خلافة محمد المهدي بن المنصور العباسي (١٥٨ ـ ١٦٩/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥)، عن ستٍّ وسبعين سنة، استنادًا إلى رواية موسى بن إسماعيل التبوذكي[١].

وأما حمّاد بن زيد بن درهم الأزدي، فقد ولد في سنة ٩٨/ ٧١٦ في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩/ ٧١٥ ـ ٧١٧)، وتوفي في سنة ١٧٩/ ٧٩٥ في خلافة هارون الرشيد بن المهدي (١٧٠ ـ ١٩٣/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩)، عن إحدى وثمانين سنة وفق رواية ابن سعد[٢].

وبذلك؛ يكون حماد بن سلمة قد عاصر تسعة خلفاء من العهد الأموي، هم: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد

(١) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق علي أبو زيد، ٧/ ٤٥٣، ط ٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

(٢) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٦، بيروت: دار صادر (د.ت).

الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام ابن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد ابن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، ومروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢/ ٧٤٤ ـ ٧٥٠).

وعاصر أيضًا ثلاثة خلفاء من العصر العباسي، هم: أبو العباس السفّاح، وأبو جعفر المنصور، والمهدي.

وإذا كان حمّاد بن زيد لم يعاصر الوليد بن عبد الملك بسبب تأخر ولادته، فإن العمر قد امتدت به ليعاصر بعض خلفاء بني العباس، إضافة إلى الذين عايشهم حمّاد بن سلمة، أمثال: الهادي بن المهدي، وهارون الرشيد.

ومن المفيد أن أبدأ هذه الدراسة بنبذة سريعة عن الأحداث التي سبقت تاريخ الحمّادين، لتكون بمثابة مدخل للأحداث الهامة التي شهدتها مدينة البصرة إبان وجود الرجلين فيها.

١ ـ البصرة في العهد الراشدي:

الواضح؛ أن مدينة البصرة التي مُصِّرَت في سنة ١٤/ ٦٣٥ زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب[1] (١٣ ـ ٢٣/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤)، كان عُتْبة بن غَزْوَان[2]، وهو أول مَن نزل أرضها

(١) محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١١٧، ط. ليدن: ١٩٠٦.

(٢) هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني، أبو عبد الله، حليف بني عبد =

بأمر من الخليفة عمر الذي طلب إليه أن يجمع أصحابه في موضع يكون قريبًا من الماء والكلأ.[1]

ولكن عُتْبة سرعان ما ترك البصرة، وقصد عمرًا طالبًا إليه أن يعفيه من إمرة البصرة، فأبى عمر إلاّ ردّه، فسقط عن راحِلته في الطريق، فمات سنة ١٥/٦٣٦، وكانت إمارته ستة أشهر فقط[2].

بعدها؛ أقرّ عمر المغيرة بن شُعبة على البصرة، فبقي سنتين ثم عزله سنة ١٧/٦٣٨[3]، واستعمل مكانه أبا موسى الأشعري[4]

= شمس، شهد بدرًا، روى عن النبي (ﷺ)، وعنه حفيده عتبة بن إبراهيم والحسن البصري، قال ابن سعد: «كان طوالاً جميلاً وهو قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان أول مَن اختطّ البصرة». مات سنة ١٥/٦٣٦ بطريق البصرة وهو ابن سبع وخمسين سنة. مترجم في: (طبقات ابن سعد، ٧/ ٨٠٥؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٧/ ١٠٠، حيدرآباد؛ الدكن. مط. دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٧).

(١) أحمد بن يحيىٰ البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق رضوان رضوان، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨/١٣٩٨.

(٢) عز الدين علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/ ٤٨٨، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩/١٣٩٩؛ قابل: شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق زيد الجندي، ١/ ٥١٣ ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠/ ١٩٩٠.

(٣) عزله عمر لأنه شُهِدَ عليه بالزنا. أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٤٠/ ١٤٢ ـ ١٤٥، القاهرة: دار الكتب، ١٩٢٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧، ط. مصر: ١٢٨٥ هـ.

(٤) الكامل في التاريخ، ٢/ ٤٨٩، ٥٤٠.

فتولاّها حتى سنة ٢٩/٦٤٩، حينما عزله عنها الخليفة عثمان بن عفان (٢٤ ـ ٣٥/ ٦٤٤ ـ ٦٥٦)[١]، وولّى مكانه عبد الله بن عامر بن كُرَيز ـ وهو ابن خال عثمان[٢] ـ فاستقرّ بها حتى وفاة عثمان[٣].

وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب (٣٥ ـ ٤٠/ ٦٥٦ ـ ٦٦١) تولّى عمل البصرة عثمان بن حُنيف، الذي لم تنقاد له المدينة بسبب مطالبة أهلها بدم عثمان الخليفة الشهيد، وذلك بتحريض من عائشة وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوّام[٤]، مما اضطر علي للسير إلى البصرة لردّ أهلها إلى الطاعة، ولكن مساعيه السلمية فشلت، مما تسبّب بوقوع معركة الجمل التي قسمت ظهر المسلمين، وشقّت صفوفهم، وانجلت الحرب عن مقتل عشرين ألفًا من الفريقين، كما قتل طلحة والزبير وعادت عائشة إلى المدينة[٥].

على أثر ذلك؛ دخل عليّ البصرة، وخطب أهلها، فهدّدهم

---

(١) محمد بن يزيد، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد الحافظ، ص ٢٣، ط ٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/١٩٨٦.

(٢) أحمد بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/١٦٦، بيروت: دار صادر ١٣٧٩/١٩٦٠؛ الكامل، ٣/٩٩.

(٣) الذهبي، دول الإسلام، ص ١٥ ـ ١٦، بيروت مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

(٤) الكامل، ٣/ ١٠١، ٢٢٠.

(٥) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ومراجعة الشيال، ص ١٤٤ ـ ١٥١؛ الكامل، ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

وتوعّدهم ثم آمنهم ـ وقبل أن يغادرهم إلى الكوفة؛ استعمل على مدينتهم عبد الله بن عباس[(١)]. ولعل أهل البصرة ندموا على موقفهم من عليّ في معركة الجمل، لذا؛ كانوا عَوْنًا له في حرب صِفّين التي دارت رُحاها بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٥٨/٣٧[(٢)]، ودليلنا على ذلك؛ أن عبد الله بن عباس استطاع خلالها أن يُجيّش، زُهاء سبعة آلاف رجل من فرسان البصرة وشجعانها[(٣)]، ووافى بهم عليًا في صِفّين بناحية الفرات، وشاركوا في فصول الحرب التي قتل فيها ما يزيد على ستين ألفًا. واستشهد من جند علي عمار بن ياسر[(٤)]، الذي قال له رسول الله (ﷺ): «يا ابن سُميّة تقتلك الفئة الباغية»[(٥)].

ويعد صفّين؛ عمد معاوية إلى إشعال الفتنة في أرض البصرة، فاغتنم فرصة خروج عبد الله بن عباس إلى الكوفة

(١) الأخبار الطوال، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) الكامل، ٣/ ٢٧٦ وما بعدها. (وصِفّين: موضع بقرب الرقّة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي) معجم البلدان، ٣/ ٤٧١.

(٣) الأخبار الطوال، ص ٢٠٦.

(٤) هو عمار بن ياسر بن عامر، وسُميّة أمه هي أول شهيدة في الإسلام، وعمّار ممّن شهدَ بدرًا وسائر المشاهد مع الرسول (ﷺ)، كما شهد صفين مع علي، فقتل ودفن هناك، وصلى عليه علي ولم يغسله، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة. (عبد الله بن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١٤٧ ـ ١٤٨، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧/١٤٠٧؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٥١٢، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٨ هـ).

(٥) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٨٨؛ دول الإسلام، ص ٢٠ ـ ٢١.

لمقابلة عليّ، وأرسل عبد الله الحضرمي إلى المدينة، فراح يحرّض العثمانية ضدّ أصحاب عليّ، فتصدّى لمختطاته الضحّاك ابن قيس الهلالي - صاحب شرطة ابن عباس - وقال له من جملة ما قاله: «. . .والله ليوم من أيام عليّ خير من معاوية وآل معاوية!»[1]، فلما وصل الخبر إلى عليّ أرسل رجاله إلى البصرة وعلى رأسهم جارية بن قُدامة، فتمكّن من ابن الحضرمي، وقتله ومَن معه[2].

غير أن معاوية لم يرضخ للأمر الواقع؛ بل ازداد في تحدّيه لعليّ، وأرسل جيوشه لفتح الولايات التابعة له. وفي حين كان عليّ منهمكًا في إزالة لعنة الشقاق التي حلّت بجيوشه، ووضع حدٍّ لأطماع معاوية في خلافته؛ امتدّت يد الغدر لاغتياله، فاستشهد في سنة ٤٠/ ٦٦٠[3].

وبعد عليّ؛ تولى الخلافة ابنه الحسن، الذي سرعان ما تخلى عنها لصالح معاوية، بهدف حَقْن دماء المسلمين وتجنّبهم الفتنة[4]، وبذلك؛ انتهت دولة الخلفاء الراشدين، واستهلّت دولة بني أمية (٤١ - ١٣٢/ ٦٦١ - ٧٥٠)، التي أسّسها معاوية بن أبي سفيان، وحكمها حتى سنة ٦٠/ ٦٨٠.

---

(١) الكامل، ٣/ ٣٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٥٠، القاهرة، ١٣٢٧/١٩٠٩؛ الأخبار الطوال، ص ٢١٦ - ٢١٨.

(٤) اليعقوبي، ٢/ ٢١٤ - ٢١٥؛ الأخبار الطوال، ص ٢١٦ - ٢١٨.

٢ ـ الأوضاع السياسية زمن الأمويين:

لما صَفَت البلاد لمعاوية؛ بعث بُسْر بن أبي أرطأة إلى البصرة، وأمره باستئصال بني زياد بن أبيه، وقبل أنْ ينفّذ فيهم حكم الموت، عاد معاوية لدهائه. فصفح عنهم بهدف اجتذاب زياد إلى صفّه[١].

وبعد بُسْر؛ تولى عمل البصرة عبد الله بن عامر بن كُريز، فَقَدِمها في آخر سنة ٤١/ ٦٦١[٢]، وبقي يدير شؤونها حتى نهاية سنة ٤٤/ ٦٦٤، فعزله معاوية عنها[٣]، وولّى مكانه الحارث بن عبد الله الأزدي في مستهل سنة ٤٥/ ٦٦٥، فبقي أميرًا على المدينة أربعة أشهر ثم عزله وولّاها زياد بن أبيه، فَقَدِمَها في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٤٥/ ٦٦٥، فخطب أهلها خطبته البتراء[٤]، فعدّد لهم شرائعه، وهدّدهم بسفك دمائهم إذا هم خرجوا عن الطاعة. وبفضل سياسته الحازمة، هدأت البصرة،

---

(١) الكامل، ٣/ ٤١٤ ـ ٤١٥. ويروى أن معاوية جهد لكي يترك زياد بن أبيه العلويين، الذين سبق واستعملوه على فارس، وحتى يحقق ذلك ويضمه إليه؛ استلحقه بنسبه، لما قَدِمَ عليه بالشام سنة ٤٢/ ٦٦٢، فجعله أخًا له من ولد أبي سفيان، بعد أن كانوا يدعونه باسم أمه سُميّة إحدى عاملات البغايا بالطائف. (اليعقوبي، ٢/ ٢١٨؛ أسد الغابة، ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦؛ الكامل، ٣/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢١٧؛ الكامل، ٣/ ٤١٦.

(٣) عُزل ابن كريز لأنه كان ليّنًا (الكامل، ٣/ ٤٤٠).

(٤) سُمّيت البتراء، لأنه لم يحمد الله فيها.

وعاد الأمن والسلام إليها[1].

وبعد مرور حولين على حكم زياد للبصرة، مات المغيرة ابن شُعْبَة والي الكوفة في سنة ٥٠/ ٦٧٠، فكتب معاوية إلى زياد بولاية الكوفة مع البصرة، فكان هو أول مَن جُمِعتا له، فلما تمّ له ذلك، سار إلى الكوفة، واستخلف على البصرة سَمُرَة بن جُنْدب[2]، فكان زياد يقيم بالكوفة ستّة أشهر وبالبصرة ستّة أشهر[3].

وبعد أن مكث زياد على المِصْرَين أربع سنين، حضرته الوفاة، فكتب إلى معاوية يخبره بأنه ولّى البصرة سَمُرَة بن جُندب وذلك سنة ٥٣/ ٦٧٢[4]. فاستبقاه معاوية حتى سنة ٥٤/ ٦٧٣، ثم عزله واستعمل مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان لمدة ستّة أشهر[5]، ثم عاد فعزله وولّى عبيد الله بن زياد بن أبيه في سنة ٥٥/ ٦٧٤، فاستمر في ولايته حتى موت معاوية[6].

---

(١) الكامل، ٣/ ٤٤٧ ـ ٤٤٩؛ ٤٥٠ ـ ٤٥١.

(٢) يكنّى أبا سليمان، شهد أُحدًا وهو صغير، ويقال إنه من العشرة الذين قال فيهم رسول الله (ﷺ) آخركم موتًا في النار، وكان أحول وأمه سوداء، استعمله زياد على البصرة ومات بالكوفة وعقبة فيها. (المعارف، ص ١٧٢؛ الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٧٨ ـ ٧٩).

(٣) الأخبار الطوال، ص ٢١٩، ٢٢٣؛ علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣/ ٢٥، بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٣.

(٤) الأخبار الطوال، ص ٢٢٥.

(٥) الكامل، ٣/ ٤٩٨.

(٦) المصدر نفسه، ٣/ ٥٠١، ٥١٧ ـ ٥٢٠، ٥٢٢.

وفي خلافة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤/ ٦٨٠ ـ ٦٨٣) ترك ابن زياد البصرة متوجهًا إلى الكوفة لقتال الإمام الحسين بن علي (ع)، الذي خرج من مدينة جدّه رسول الله (ﷺ) في سنة ٦٠/ ٦٨٠ آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر[١]. وبعد أن سجّل ابن زياد انتصاراته المُخزية على الحسين بن علي تطاول لأخذ الخلافة ولا سيما بعد موت يزيد سنة ٦٤/ ٦٨٣، فاستجاب له أهل البصرة وبايعوه، ثم عادوا فنقضوا بيعتهم له، فمسحوا أيديهم بالحيطان وهم يقولون: «أيظن ابن مرجانة أننا ننقاد له في الجماعة والفُرقة!»[٢].

ولمّا وجد ابن زياد أنه يستحيل عليه تولّي الخلافة؛ فرّ من البصرة وقصد الشام التي سرعان ما بايعت لمروان بن الحكم (٦٤ـ ٦٥/ ٦٨٣ ـ ٦٨٥).

في هذه الأثناء؛ انشغل أهل البصرة بقتال الخوارج[٣]، الذين زرعوا الرعب في العراق وتمكنوا من قتل أميرين من أهل البصرة هما: مسلم بن عُبَيس وعثمان بن مَعْمَر القُرَشي وأبادوا

(١) مروج الذهب، ٣/ ٥٤ وما بعدها، قابل: محمد بن عبد الله بن العربي، العواصم والقواسم، تحقيق محبّ الدين الخطيب، ص ١٣١ وما بعدها، ط ٢، جدة: دار السعودية للنشر، ١٣٨٧ هـ.

(٢) الكامل، ٤/ ١٣١ ـ ١٣٢.

(٣) عنهم بالتفصيل؛ راجع: محمد بن يزيد المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ١٢١ ـ ١٩٨، بيروت: مكتبة المعارف، (د.ت).

جيوشها، مما تسبّب بفزع أهلها وجلاء أغلبهم عنها[١].

من جهة أخرى؛ كاتب أهل البصرة عبد الله بن الزبير، الذي كان مسيطرًا على الحجاز، وسألوه المبايعة، مقابل حماية مدينتهم من خطر الخوارج، فاستجاب لهم وأرسل إليهم الحارث بن أبي ربيعة المَخْزُومي، كما كتب إلى عامله على خراسان المهلّب بن أبي صُفرة[٢] بالتوجّه لحرب الخوارج، فتمكّن منهم وقتل رئيسهم نافع بن الأزرق في سنة ٦٥/ ٦٨٤[٣].

بعدها، أرسل ابن الزبير أخاه مصعبًا عاملاً على البصرة بدلاً من الحارث بن أبي ربيعة، فدخلها وقد لقّب نفسه بالجزار[٤]؛ في هذا الوقت؛ نشطت حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي[٥]، فوثب بعامل ابن الزبير وطرده من الكوفة سنة ٦٦/ ٦٨٥، كما هرب بعض أشرافها إلى البصرة، ولاذوا بمصعب

---

(١) المعارف، ص ٢٢٥؛ الأخبار الطوال، ص ٢٧٠؛ الكامل في اللغة ٢٠/ ١٣٨؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) عن سيرته، انظر: المعارف، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣) الأخبار الطوال، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ١٩٤ ـ ٢٠٢.
Ency.de l'Isl, (art Nafi) t3, p.882.

(٤) الكامل في التاريخ، ٤/ ٢٦٧.

(٥) عن سيرته؛ انظر: المعارف، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
Ency. de l'Isl, (art al - Mukhtar B. Abi'ubaid al - thakafi) t3, p.765.

وسألوه نصرتهم والمسير إلى المختار، فقصد الكوفة ومعه المهلب، وأنزل الهزيمة بالمختار وقتله في سنة ٦٨/ ٦٨٧[١].

ولما رأى عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥) تزايد قوى ابن الزبير زحف على العراق، وقاتل مصعبًا بعد أن تخلى عنه أهل البصرة، فهزمه وقتله سنة ٧٢/ ٦٩١[٢]. فلما علم أهل البصرة بهزيمة مصعب؛ بايعوا عبد الملك، فاستعمل عليهم خالد بن عبد الله بن أُسيد، فسجّل انتصارات مشرّفة على الخوارج[٣]، وعلى الرغم من ذلك؛ فقد عزله الخليفة عن البصرة وولاّها لأخيه بُشر بن مروان، فحكمها إلى أن مات سنة ٧٤/ ٦٩٢[٤].

على أثر ذلك، وجّه عبد الملك إلى العراق قائده الحجّاج ابن يوسف الثقفي في سنة ٧٤/ ٦٩٣[٥]، بعد أن ولاّه على

---

(١) الأخبار الطوال، ص ٢٨٨ وما بعدها؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨ ـ ٢٧٤.

(٢) أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ٣/ ٣٧٣ وما بعدها، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦/ ١٩٨٦؛ مروج الذهب، ٣ ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٨؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥/ ١٦ وما بعدها، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٣٦، ٣٤٢ ـ ٣٤٤.

(٤) تاريخ الطبري، ٥/ ٣٦ وما بعدها؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥.

(٥) عن سيرته؛ انظر: المعارف، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

المِصْرَين، فشخص الحجاج إلى الكوفة ووجّه الحَكَم بن أيوب الثقفي أميرًا على البصرة، ثم لحق به وخطب الناس داعيًا إياهم لحرب الخوارج[1] وعلى الرغم من استجابة أهل العراق لأوامر الحجّاج، فقد كان قاسيًا معهم، فأنقص عطاءهم، مما تسبّب بقيام ثورة عارمة في البصرة بزعامة عبد الله بن الجارود في سنة ٧٥/ ٦٩٤، ولكن الحجّاج هزمه وبعث برؤوس أصحابه لتجوب البلدان[2].

وفي سنة ٨١/ ٧٠٠ شهدت البصرة حركة عبد الرحمن بن الأشعث[3]، وكان قد ولاّه الحجّاج على إقليم سِجِسْتَان[4]، ولكنه كان مستاءً ومَن معه من أهل العراق من ظلم الحجّاج، وتحت تحريض الجند، خلع ابن الأشعث الحجّاج، وبايعه جنده، ثم زحف على العراق، وقاتل الحجّاج في أرباض البصرة حتى كاد يقضي عليه، ولكن وصول الإمدادات من الشام غيّرت سير المعركة، فدارت الدائرة على ابن الأشعث، فانهزم إلى الكوفة ومعه فرسان البصرة وشجعانها، وظل فيها حتى سنة ٨٣/ ٧٠٢،

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٤٠ وما بعدها؛ مروج الذهب، ٣/ ١٢٧ ـ ١٣١؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٧٩، ٣٨٠ ـ ٣٨٥.

(٢) تاريخ الطبري، ٥/ ٤٦؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨٥.

(٣) الأخبار الطوال، ص ٣١٦ وما بعدها؛ المعارف، ص ٢٠٢، انظر أيضًا:
Ency. de l'Isl, (art, Abd al- Rahmân B. al - Ash'ath) t,I, p.57 - 58.

(٤) على سجستان؛ انظر: مجم البلدان، ٣/ ٢١٤ وما بعدها.

حيث كانت المعركة الفاصلة بدير الجماجم بظاهر الكوفة، فانكسر ابن الأشعث وفرّ إلى بلاد الترك[١].

وظل الحجّاج يحكم العراق حتى وفاته سنة ٩٥/ ٧١٤[٢] إبان خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦/ ٧٠٥ ـ ٧١٥). والملاحظ؛ أنه لم يحصل زمن الوليد اضطرابات وفِتَن في بلاد العراق، كتلك التي حدثت في عهد أسلافه، لذا؛ لم تؤرخ المصادر أحداث تلك المنطقة، بل اهتمت بحرب الثغور والفتوح التي حقّقها المسلمون في الأندلس، وبلاد ما وراء النهر والسند[٣].

والجدير ذكره؛ أنه في هذه الفترة من تاريخ الأمة، ولد الإمام حماد بن سلمة بن دينار (٩١ ـ ١٦٧/ ٧١٠ ـ ٧٨٣ ـ ٤)، غير أننا لم نستطع القول أنه منذ الآن بدأ يدرك أحداث بلاده، فهو بطبيعة الحال، لم يمتلك القدرة على ذلك قبل أن يبلغ سنّ الشباب.

ولقد خلف الوليد في الحكم أخاه سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩/ ٧١٥ ـ ٧١٧)، الذي شهد عهده ولادة الإمام حماد

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ١٤٥ وما بعدها؛ مروج الذهب، ٣/ ١٣١ وما بعدها؛ الكامل في التاريخ، ٤/ ٤٦١ ـ ٤٨٣.

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق (تحقيق de Geojè، ٣/ ١٠ ـ ١١، ط. بريل، ١٨٧١.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩؛ العيون والحدائق، ٣/ ٢ ـ ٣.

ابن زيد بن درهم (٩٨ ـ ١٧٩/ ٧١٦ ـ ٧٩٥)، والملاحظ؛ أن المصادر لم تمدّنا بتفاصيل عن أحوال البصرة زمن حكم سليمان، وربما بعد ذلك؛ لاستتباب الأمن في البلاد في تلك الفترة، وإما بسبب الاهتمام بالفتوحات التي قُدّر لها أن تبلغ أسوار القسطنطينية[١].

وكلّ ما لدينا من معلومات تشير إلى أن الخليفة عمل على إصلاح ما أفسده الحجاج، فردّ المظالم، وأطلق الأسرى الذين كانوا في البصرة[٢]، وعزل يزيد بن أبي مسلم، مولى الحجاج وصاحب شرطته، عن عمل العراق بسبب ظلمه، وولّى مكانه يزيد بن المهلب[٣]، الذي قُدّر له أن يتولّى خراسان في سنة ٩٧/٧١٧، وقبل أن يسير إليها استعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي، ولكنه عاد فعزله سنة ٩٨/٧١٦ وولّى مكانه عبد الله الكندي[٤].

ولمّا تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة (٩٩ ـ ١٠٠/ ٧١٧ ـ ٧١٩)، عزل يزيد بن المهلب عن البصرة ووجّه إليها عُديّ بن أرطأة الفزاري[٥]، وأمره بمطاردة ابن..........

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢/٢٩٩؛ الكامل في التاريخ، ٥/٢٧.
(٢) المعارف، ص ٢٠٣؛ العيون والحدائق، ٣/١٧.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/٢٩٤؛ الكامل في التاريخ، ٥/١١. وعن سيرة يزيد بن المهلب؛ انظر: المعارف، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(٤) الكامل في التاريخ، ٥/٢٥، ٣٦.
(٥) المعارف، ص ٢٠٥؛ الكامل في التاريخ، ٥/٤٥ وما بعدها.

المهلب[1]، وفي عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤)، عاد ابن المهلب إلى البصرة. فانضمّت إليه اليمانية، وقصدت القيسية عديّ بن أرطأة، وشهدت المدينة قتالاً مريرًا انتصر على أثره ابن المهلب[2].

فيما بعد؛ تنمّر ابن المهلب وتطاول لأخذ الخلافة، فأمر بشتم بني مروان من على المنابر، ودعا للرضا من بني هاشم[3]، فكانت بيعته على كتاب الله وسُنّة نبيّه[4]، فلما شعر الخليفة بالخطر، أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى العراق وقاتل ابن المهلب حتى هزمه وقتله ومَن معه، ثم احتزّت رأسه ورؤوس أصحابه وحُمِلَت إلى الخليفة في الشام سنة ١٠٢/ ٧٢٠[5].

وبعد إزاحة آل المهلب الذين قاموا بفتوحات عظيمة، وخدموا بني أمية بإخلاص، جمع يزيد بن عبد الملك لأخيه مسلمة ولاية الكوفة والبصرة وخراسان، وكان قد قام بأمر البصرة بعد آل المهلب شبيب بن الحارث التميمي، فاستبدله مسلمة بعبد الرحمن بن سليمان الكلبي، ثم عاد فعزله لسياسته الخراء وولّى

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٣١٢.

(٢) مروج الذهب، ٣/ ١٩٩؛ الكامل في التاريخ، ٥/ ٧١ وما بعدها.

(٣) العيون والحدائق، ٣/ ٦٥.

(٤) الكامل في التاريخ، ٥/ ٧٥.

(٥) مروج الذهب، ٣/ ٢٠٠؛ الكامل في التاريخ، ٥/ ٧٩ وما بعدها؛ العيون والحدائق، ٣/ ٦٨ ـ ٧٤.

مكانه عبد الملك بن بشر بن مروان[١]، فبقي يدير شؤونها إلى سنة ١٠٢/ ٧٢٠، حينما عزله عمر بن هبيرة[٢] الذي تولّى أمر العراق بأمر من الخليفة يزيد بعد أن عزل أخاه مسلمة[٣].

ولقد نجح عمر بن هبيرة في إعادة الهدوء والطمأنينة إلى بلاد العراق، واستمر في ولايته حتى مجيء هشام بن عبد الملك إلى الحكم (١٠٥ ـ ١٢٥/ ٧٢٤ ـ ٧٤٣)، فعزله وولّى مكانه خالد بن عبد الله القسري، فبادر بالقبض على ابن هبيرة، كما بدّل رجالات البصرة، فجعل على صِلاتها عُقبة بن عبد الأعلى، وعلى شرطتها مالك بن المنذر بن الجارود، وفي سنة ١٠٩/ ٧٢٧، استخلف على صِلاتها أبان بن حُبارة اليثربي، وعلى شرطتها بلال بن أبي بُردة[٤]، وبقي خالد يدير شؤون العراق حتى عزله الخليفة هشام سنة ١٢٠/ ٧٣٨، واستبدله بيوسف بن عمر الثقفي[٥]، فتسبّب بعودة الفتن إلى العراق، لإغضابه اليمانية[٦]، وتشدّده في معاملة الشيعة الزيدية وعلى رأسهم زيد

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/ ٨٩، ١٠٢.

(٢) عن سيرة ابن هبيرة؛ انظر: المعارف، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١؛ الكامل في التاريخ، ٥/ ٩٧ وما بعدها.

Ency. de l'Isl, (art, Ibn Hubaira) t2, p.411.

(٣) المعارف، ص ٢٠٥؛ الأخبار الطوال، ص ٣٣٤؛ الكامل، ٥/ ٩٧ ـ ١٠٠.

(٤) الكامل في التاريخ، ٥/ ١٣٤، ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٦؛ عن سيرة يوسف الثقفي؛ انظر: المعارف، ص ٢٢٤.

(٦) الأخبار الطوال، ص ٣٤٣.

ابن علي الذي أعلن الثورة سنة ١٢٢/ ٧٤٠[١].

وبعد هشام؛ تولّى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ ـ ١٢٦/ ٧٤٣ ـ ٧٤٤)، ونظرًا لسوء سياسته، وإهماله لشؤون خلافته، وقلة عنايته بالولايات، عمّت الفوضى معظم البلاد، مما عجّل بنهايته على يد ابن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، المعروف «بالناقص» (١٢٦/ ٧٤٤)[٢]، ولعل هذا الأخير كان مهتمًا بأمر العراق؛ ولهذا جعل عليه منصور بن جمهور الكلبي وأوصاه بأهله خيرًا[٣] فلما خيّب آماله؛ عاد فعزله، وعيّن مكانه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، فَقَدِمَ البلاد، وفرّق العمل، فجعل على البصرة المُسور بن عمر بن عباد، وأعطى الناس أرزاقهم وأُعطياتهم[٤] وبذلك استتبّ الحكم في العراق ليزيد الناقص إلى أن وافته المنيّة في سنة ١٢٦/ ٧٤٤، بعد حكم دام ستّة أشهر[٥].

وبعد «الناقص»؛ قام بالخلافة أخوه «إبراهيم الخليع»،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، ص ٣٢٥؛ بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧/ ١٤٠٨؛ مروج الذهب، ٣/ ٢٠٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١؛ دول الإسلام، ص ٧٦.

(٣) المعارف، ص ٢٠٧؛ الأخبار الطوال، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ العيون والحدائق، ٣/ ٥٢.

(٤) الكامل في التاريخ، ٥/ ٢٩٥، ٣٠٢، ٣١٩.

(٥) الأخبار الطوال، ص ٣٥٠؛ دول الإسلام، ص ٧٦.

فمكث أربعة أشهر ثم خلفه مروان بن محمد في سنة ١٢٧/ ٧٤٤[١]. بعدما أجرى مروان تغييرات في العراق، فعزل عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، عامل يزيد الناقص وإبراهيم الخليع، وولّى مكانه النضر بن سعيد الحرشي، فامتنع عبد الله عن تسليم العمل للحرشي، مما تسبب بوقوع الحرب بينهما[٢].

ولم تهدأ الحرب بين المتقاتلين إلا بعد أن شَعَرا بخطر الخوارج بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني، الذي سرعان ما انتصر عليهما وأحكم سيطرته على العراق[٣]، ولما رأى مروان تردّي الأوضاع في العراق، استعان بيزيد بن عمر بن هبيرة[٤]، وأمره بحرب الخوارج، فهزمهم بالكوفة، فتراجعوا أمامه إلى البصرة حيث نظّموا صفوفهم وتأهّبوا للحرب، فهاجمهم ابن هبيرة وأنزل الهزيمة بهم، وشتّت جموعهم، واستباح معسكرهم[٥]، وبذلك تمّت سيطرة ابن هبيرة على العراق، فأعاد إليها الهدوء، وردّها إلى سيادة بني أمية[٦].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢/٣٣٧؛ محمد بن علي بن طاطبا المعروف بالطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص ١٣٧، بيروت: دار صادر، (د.ت).

(٢) الكامل في التاريخ، ٥/٣٣٥.

(٣) تاريخ الطبري، ٥/٦١١، ٦١٥؛ الكامل، ٥/٣٣٣ - ٣٣٧.

(٤) عن سيرته؛ انظر: المعارف، ص ٢٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٨؛ الكامل في التاريخ، ٥/٣٥١، ٣٥٤.

(٦) تاريخ اليعقوبي، ٤/٣٣٩؛ تاريخ الطبري، ٦/١٧.

٣ ـ الحالة السياسية في العهد العباسي:

إن الهدوء الذي شهده العراق في أواخر الحكم الأموي؛ سرعان ما تحوّل إلى فوضى عامّة واضطرابات خطيرة، نتج عنها سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس، الذين تقدمت جحافلهم نحو العراق بقيادة قحطبة بن شبيب، فأنزلوا الهزيمة بيزيد بن عمر بن هبيرة بالقرب من الكوفة سنة ١٣٢/٧٤٥؛ ثم دخلوا الكوفة بزعامة الحسن بن قحطبة بعد أن قضى والده غرقًا في المعركة الأولى، أما ابن هبيرة فانهزم إلى واسط تاركًا عسكره بما فيه من سلاح وأموال[١]. بعد ذلك تمّت البيعة لأبي العباس السفاح[٢] (١٣٢ ـ ١٣٦/ ٧٥٠ ـ ٧٥٤) بصفته أول خليفة في دولة المسودة[٣].

في هذا الوقت؛ كان يتولى عمل البصرة سلم بن قتيبة الباهلي من قِبَل يزيد بن هبيرة، في حين توجّه سفيان بن معاوية ابن يزيد إلى المدينة بأمر من بني العباس، مما تسبّب بتردّي الأوضاع، بخاصة بعدما أرسل سفيان إلى سلم يأمره بالتحوّل من

---

(١) مجهول، أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار، ص ٣٢١ وما بعدها، بيروت: ١٩٧٢؛ الكامل في التاريخ، ٥/٤٠١ ـ ٤٠٤.

(٢) محمد بن يزيد، تاريخ الخلفاء، ص ٣٦؛ العيون والحدائق، ٣/١٩٩.

(٣) عرفت دولة العباسيين بهذا الاسم لاتخاذهم السواد شعارًا لهم، وذلك حزنًا على الشهداء من بني هاشم. ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٤٥؛ عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول، ١/٣٤، ط ٢، =

دار الإمارة[١]، فما كان من سلم إلا أن أعلن الحرب بمَن معه من القيسية، في حين جمع سفيان اليمانية وربيعة وغيرهم[٢].

وقبل وقوع الحرب؛ نادى سلم في سوق البصرة وسِكَكها: «مَن جاء برأس فله خمسمائة، ومَن جاء بأسير فله ألف درهم». ثم نشب القتال، وكان على جيش العباسيين معاوية بن سفيان ومعه ربيعة وعلى جيش الأمويين سلم ومعه تميم، فأسفرت المعركة عن قتل معاوية وأُتِيَ برأسه إلى سلم، فأعطى قاتله عشرة آلاف. ولما علم سفيان بقتل ابنه انهزم بمَن معه، في حين رجحت كفّة سلم بعد وصول المدد من الخليفة مروان، مما أدّى إلى عودة الحرب في نواحي البصرة، وكثرت القتلى حتى انهزمت الأزدُ، ونُهبت دُرهم، وسُبِيَت نساؤهم، وهُدِمَت بيوتهم ثلاثة أيام، ولم يزل سلم بالبصرة يخوضها حربًا انتقامية، حتى أتاه نعي يزيد بن هبيرة، فرحل عن المدينة، فتولاّها أبو مالك عبد الله بن أَسَيد الخُزاعي من قِبَل أبي مسلم الخُراساني، قائد الثورة العباسية[٣]، ولمّا قَدِمَ أبو العباس ولاّها سفيان بن معاوية، وعادت البصرة تلتقط أنفاسها وتستعيد نشاطها[٤].

= مصر: مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٩.

(١) عن تاريخ دار الإمارة؛ انظر: معجم البلدان، ١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ٥/ ٤٠٦.

(٣) عن سيرته؛ انظر: العيون والحدائق، ٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣؛ الفخري، ص ١٣٩ـ ١٤٠.

Ency. de l'Isl, (art, Abû Muslim) 2ed, II, p.145.

(٤) الكامل، ٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

ولمّا بدأ السفّاح يستعمل أعمامه على الولايات[1] ولّى البصرة وأعمالها لعمّه سليمان بن علي، فَقَدِمها سنة ١٣٣/ ٧٥١[2]، وعلى الفور عمل على استئصال شأفة بني أمية، فبادر إلى قتل جماعة من الأمويين عليهم الثياب الموشية، وأمر بهم فجُرُّوا بأرجلهم، فأُلقوا في شوارع البصرة[3].

بعد ذلك؛ أخذت البصرة تعاني من خطر الخوارج، وعلى الفور وجّه السفّاح ضدّهم القائد خازم بن خزيمة على رأس طائفة من الجند، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، انهزم الخوارج على أثره إلى عُمان، فتبعهم خازم حتى أدركهم في الصحراء، فقتل منهم عشرة آلاف وبعث برؤوسهم إلى البصرة، فأرسلها سليمان بدوره إلى السفاح[4].

وظلّت البصرة بإمرة سليمان بن علي حتى خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥)، فاستمرت العلاقة وطيدة بين الخليفة وعمّه حتى خروج عبد الله بن علي مطالبًا بالخلافة لنفسه في سنة ١٣٧/ ٧٥٥[5]، حينئذٍ أصبح موقف سليمان حَرِجًا ولا سيما عندما انهزم عبد الله أمام جيوش المنصور، وقصد

---

(١) المعارف، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) الطبري، ٦/ ١١١.

(٣) الكامل، ٥/ ٤٣١.

(٤) الطبري، ٦/ ١١٤ ـ ١١٥؛ الكامل، ٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٥) الطبري، ٦/ ١٢٣ وما بعدها؛ العيون والحدائق، ٣/ ٢١٧.

البصرة ليتخفّى في دار الإمارة[١]، عندها طلب المنصور من سليمان أن يرسل أخاه عبد الله إليه بعد أن أعطاه الأمان، فأشخصه سليمان ومعه قوّاده، فما كان من المنصور إلا أن غدر به، وقبض عليه وحبسه في قصره، كما أصدر أوامره بعزل سليمان عن ولاية البصرة[٢]، واستعمل عوضًا عنه سفيان بن معاوية، فاستمر يدير شؤونها حتى سنة ١٤٥/ ٧٦٢ إبّان ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم[٣].

ولا شك؛ أن ثورة إبراهيم العلوي، تعتبر من أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي عاشتها مدينة البصرة زمن العباسيين، بدليل ما سبّبته من خوف وقلق للخليفة أبي جعفر المنصور، الذي ما أن علم باتصالات محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم بأهل البصرة؛ حتى قَدِمَ المدينة ليُرعِبَ أهلها[٤]، كما دعا إلى مجلسه أصحاب الرأي، وعرض عليهم خطورة الأمر[٥]، ولكن تحرّكات المنصور لم تُثْنِ إبراهيم عن العودة مجددًا إلى البصرة التي لم تتأخر عن مبايعة النفس الزكية وتأييد ثورته، وكان

---

(١) اليعقوبي، ٢/ ٣٦٦؛ معجم البلدان، ١٢/ ٤٣٤.

(٢) محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتّاب (تحقيق السقا والأبياري وشلبي)، ص ١٠٣ ـ ١٠٤، ط ١، القاهرة، مط. الحلبي، ١٣٥٧/ ١٩٣٨.

(٣) الطبري، ٦/ ١٤٤، ٢٥١؛ العيون والحدائق، ٣/ ٢٢٦.

(٤) الكامل، ٥/ ٥١٧.

(٥) الطبري، ٦/ ٢٤٦؛ الكامل، ٥/ ٥٣٥.

في طليعة المؤيّدين جماعة كبيرة من الفقهاء وأهل العلم[(١)]، أمثال: هشيم بن بشير، وعباد بن العوّام، ويزيد بن هارون وشُعبة ابن الحجاج، الذي كان يحثّ الناس على نصرة الثورة ويقول: «ما يُقعِدكم؟ هي بدر الكبرى»[(٢)]، وكان أبو حنيفة بدوره يحضّ الناس على الخروج مع إبراهيم ويأمرهم باتّباعه، ويقول لهم: «غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة»[(٣)] وربما بسبب هذه المواقف؛ تزاحم الناس إلى إبراهيم حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف[(٤)]، والمُلفِت للنظر؛ أننا لم نعثر على اسميّ الحمّادين في عداد الفقهاء والمحدّثين الذين آزروا تلك الثورة، فربما يعود السبب في ذلك للاختلاف المذهبي، وإما لأسباب أخرى نحن نجهلها.

مهما يكن من أمر، ففي غُرّة شهر رمضان من سنة ١٤٥/ تشرين الثاني ٧٦٢، ظهر إبراهيم في البصرة، وقصد دار الإماة وبها سفيان بن معاوية متحصّنًا، فآمنه إبراهيم لتواطئه معه، ثم قيّده بقيد خفيف حتى لا يشك المنصور في إخلاصه له[(٥)]، ثم صادر بيت المال فوجد فيه ألفي ألف..........

(١) الكامل، ٥/ ٥٦٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص ٣٢٣؛ ٣١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٤ ـ ٢٣٥.

(٤) الكامل، ٥/ ٥٦٣؛ وقيل: «أحصى ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف» مقاتل الطالبيين، ص ٣٢٧، الذهبي، دول الإسلام، ص ٨٨.

(٥) الطبري، ٦/ ٢٥١؛ العيون والحدائق، ٣/ ٢٥٠ وما بعدها.

درهم[1]، مما عزّز موقفه، وقوّى أمره، بخاصة بعد أن فرّق العطاء في أصحابه[2] وبذلك صَفَتْ البصرة له.

على أثر ذلك؛ أخذ إبراهيم يفرّق عمّاله، كما وجّه جيوشه التي تمكّنت من السيطرة على واسط والأهواز وفارس والمدائن والسواد[3]، وقبل عيد الفطر بثلاثة أيام، أتاه نعي أخيه محمد، فخرج بالناس يوم العيد وفيه انكسار، فصلّى بهم، وأخبرهم بقتل أخيه، ثم قال: «اللهمّ تعلم أن محمدًا إنما خرج غضبًا لك، ونفيًا لهذه المُسَوّدة[4]، وإيثارًا لحقّك فارحمه واغفر له» ثم انفجر بالبكاء، فازداد الناس تصميمًا على قتال المنصور[5].

بعدها؛ استخلف إبراهيم على البصرة نُميلة بن مرّة وترك ابنه حسنًا معه، وتوجّه إلى نواحي الكوفة، وعسكر في باخمرا[6]، وهدّد المنصور في عقر داره حتى جعله لا يقرّ ولا

---

(١) ذكر الذهبي أن إبراهيم وجد في الخزانة «ست مائة ألف». دول الإسلام، ص ٨٨.

(٢) الكامل، ٥/ ٥٦٤.

(٣) الطبري، ٦/ ٢٥٦؛ الكامل، ٥/ ٥٦٦.

(٤) عن دولة المسودة؛ انظر: فاروق عمر، طبيعة الدعوة العباسية، ص ١٦١، بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٠؛ عبد المنعم ماجد، الدولة العربية، ٢/ ٣٣٢، ط ٣، بيروت: ١٩٦٦.

(٥) الطبري، ٦/ ٢٥٤؛ مقاتل الطالبيين، ص ٢٩٤.

(٦) العيون والحدائق، ٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وباخمرا: موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب (معجم البلدان، ١/ ٣٧٦).

ينام وحار في نفسه وحوله بالكوفة مائة ألف سيف كامنة مُضمِرَة للفتك به[1]، حينئذٍ لم يتأخر المنصور في إرسال جيوشه نحوه وعلى رأسهم عيسى بن موسى، وليّ عهده، وحُمَيْد بن قحطبة[2]، ومع أن جيش إبراهيم سجّل انتصارات باهرة أول الأمر؛ بحيث أن أبا جعفر أمر بإعداد الإبل والدّواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها[3]، إلا أن حُمَيْد بن قحطبة حول الهزيمة إلى نصر، فحمل بنفسه على إبراهيم، وفرّق الزيدية الذين استبسلوا في الدفاع عنه، وأصابه في نحره، ثم شدّ عليه وحزّ رأسه، وأرسلها إلى أبي جعفر في ترس، لتجوب الكوفة في ذي الحجة سنة ١٤٥/ آذار ٧٦٣، فعُرِف بقتيل باخمرا[4]، وبعد أن هدأ غضب المنصور؛ جمع العلويين فتوعّدهم وهدّدهم، ثم أصدر عفوه عنهم وعن أهل البصرة، ثم قال للإمام جعفر الصادق (ع): «مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم، ووهبت لكم جُرْمَ أهل البصرة»[5].

ولكن المنصور لم يَفِ بعهده الذي قطعه للإمام الصادق، بدليل أنه لم يترك أهل البصرة ليرتاحوا بعد تلك الأحداث، فبعد هزيمة إبراهيم بعث سلم بن قُتيبة الباهلي أميرًا على

---

(١) الطبري، ٦/ ٢٥٧؛ الكامل، ٥/ ٥٦٦.

(٢) الكامل، ٥/ ٥٦٧.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص ٢٩٨.

(٤) الطبري، ٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢؛ الكامل، ٥/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠، العيون، ٣/ ٢٥٤.

(٥) مقاتل الطالبيين، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

البصرة[1]، وأمره بهدم دُور مَن خرج مع إبراهيم، ويعَقْر نخلهم، ولكن سلمًا تلكّأ في تنفيذ أوامره، مما أغضب المنصور الذي أمر بعزله سنة ٧٦٣/١٤٦، واستعمل مكانه محمد بن سليمان[2]، فعاث في البلاد فسادًا، وتتبّع أعوان إبراهيم، فهدم دُورهم، وعَقَرَ نخلهم، حتى ضجّت المدينة من أفعاله[3].

ولعل المنصور استدرك عاقبة تلك السياسة الرعناء، فأراد أن يمتصّ نقمة أهل البصرة، لذا؛ أصدر أوامره بعزل محمد بن سليمان، وولّى مكانه محمدًا، ابن أخيه أبي العباس السفّاح في سنة ٧٦٣/١٤٦[4]. ولكن محمدًا استعفى منها، في سنة ٧٦٦/١٤٩[5]، وانصرف إلى بغداد بعد أن استخلف بها عُقبة بن سالم، فأقرّه المنصور عليها حتى سنة ٧٦٨/١٥١، ثم استبدله بجابر بن توبة الذي سرعان ما عُزل في سنة ٧٦٩/١٥٢ وحلّ مكانه يزيد بن منصور[6].

---

(١) الكامل، ٥/ ٥٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ٥/٥٧٦، (ذكر خليفة بن خياط أن سلمًا عزل بعد شهرين من حكمه للبصرة)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، ٢/ ٤٦٢، النجف: مط. الآداب، ١٩٦٧/١٣٨٦.

(٣) الطبري، ٦/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٤) تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٦٢؛ (ذكره ابن الأثير في أحداث سنة ٧٦٤/١٤٧)؛ الكامل، ٥/ ٥٨٢.

(٥) ابن خياط، المكان نفسه.

(٦) الطبري، ٦/ ٢٨٤، ٢٩٤، ٢٩٥؛ الكامل، ٥/ ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٩٤، ٦٠٥، ٦٠٨.

والواضح؛ أن دور البصرة أصبح جانبيًا في هذه الفترة، ولعل ذلك يعود؛ لسياسة القمع والإرهاب التي مارسها المنصور بعد تصدّيه للحركات العلوية، وإما لاستتباب الأمن في المدينة بفضل رعاية الخليفة لأمورها، فذكرت المصادر أنه كان يتفقدها من حين لآخر، فيزورها ويرعى مصالحها، ويراقب سير الأمور فيها، وأشار الطبري إلى أنه زارها لأول مرة في سنة ١٤٥/ ٧٦٢، وأقام بها أربعين يومًا، وبنى بها قصرًا ثم انصرف منها، كما قَدِمَها سنة ١٥٣/ ٧٧٠ بعد فراغه من حجّه، حيث جهّز فيها جيشًا لحرب الكرك، وكانت قَدْمَته الأخيرة في سنة ١٥٥/ ٧٧٢[١].

وحقيقة الأمر؛ فإننا لم نعثر في المصادر، بعد ذلك التاريخ، على تفاصيل للأحداث التي شهدتها المدينة خلال الحقبة الأخيرة من حكم المنصور، أو في السنوات الأولى من عهد المهدي، وكل ما لدينا من معلومات تتلخص بذكر أسماء الوُلاة الذين حكموا المدينة، فذكرت المصادر التاريخية أنه في سنة ١٥٤/ ٧٧١ استعمل المنصور على البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النُميري، وأمره أن يخندق عليها ويضرب عليها سورًا[٢]، ثم عزله في سنة ١٥٥/ ٧٧٢ واستعمل الهيثم ابن معاوية، الذي عُزل بدوره في سنة ١٥٦/ ٧٧٣ وحلّ سعيد ابن دَغلَج على شرطتها وأحداثها، فتولّى أمرها حتى وفاة

(١) تاريخ الأمم والملوك، ٦/ ٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٢٩٨.

المنصور في سنة ١٥٨/ ٧٧٤[1].

وفي زمن المهدي بن المنصور؛ أُقِرّ سعيد بن دَعْلَج على أحداث البصرة، وتولى عُمارة بن حمزة خراجها، وفي سنة ١٥٩/ ٧٧٦، عزل المهدي سعيد بن دَعْلَج عن الأحداث، وولّى عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النُميري، وأمره بإنصاف مَن تظلّم من ابن دعلج، ثم صُرِّفَت الأحداث إلى عُمارة بن حمزة، فولاّها بدوره المِسْوَرَ بن عبد الله الباهلي، وحلّت سنة ١٦٠/ ٧٧٧ وعلى البصرة محمد بن سليمان بن علي العباسي[2] فاستمر يدير شؤونها حتى سنة ١٦٥/ ٧٨٢ حيث عُزل بصالح بن داود، ثم خرج صالح واستَخْلَفَ مولاه أبا مقاتل[3]، بعد ذلك؛ تولّى أحداثها رَوْح بن حاتم، فدام حكمه فيها حتى وفاة المهدي سنة ١٦٩/ ٧٨٥[4]، وخلال إمارة روح بن حاتم على البصرة، كانت نهاية الإمام حمّاد بن سلمة فتوفي سنة ١٦٧/ ٧٨٣ ـ ٤، في حين استمرت حياة حمّاد بن زيد حتى عام ١٧٩/ ٧٩٥، لذا؛ سوف نستمر في تتبّع أحداث البصرة حتى هذا التاريخ.

بكل حال؛ فقد اعتلى موسى الهادي سُدّة الخلافة بعد أبيه المهدي، وفي عهده (١٦٩ ـ ١٧٠/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦) عُزِل روح بن

(١) تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٦٢؛ الطبري، ٦/ ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠١؛ الكامل، ٥/ ٦١٢، ٦/ ٨، ١١.
(٢) الطبري، ٦/ ٣٥٢، ٣٥٨، ٣٦٧؛ الكامل، ٦/ ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٩.
(٣) تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٧٢.
(٤) الكامل، ٦/ ٦٢، ٦٧، ٧٤.

حاتم وأُعيد محمد بن سليمان العباسي[1]، ربما بسبب تعاونه مع جيوش العباسيين في القضاء على الحسين بن علي بن الحسن العلوي في وقعة فخ سنة ١٦٩/ ٧٨٥[2]، والمهم أن محمدًا استمر في حكم البصرة حتى وفاته سنة ٧٨٩/١٧٣ في خلافة هارون الرشيد[3]، الذي ولاّها لسليمان بن أبي جعفر، ثم عزله في آخر سنة ١٧٤/ ٧٩٠، وولّى مكانه عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، فخرج عيسى واستخلف المهلب بن المغيرة، فقَدِمَ خزيمة ابن خازم البصرة وصلّى بالناس يوم الجمعة وادّعى عهدًا، ثم عزل عيسى وولّى جعفر بن سليمان بن علي، فولّى ابنه سليمان ابن جعفر ثم عزله وولّى جعفر بن أبي جعفر أمير المؤمنين، ثم عزله سنة ١٧٩/ ٧٩٥[4]، ولعله تولاّها في هذه السنة أيضًا: عبد الصمد بن علي، ومن بعده مالك بن علي الخزاعي، ثم إسحٰق ابن سليمان بن علي[5]، وفي عهد هذ الأخير كانت وفاة الإمام حمّاد بن زيد الذي صلّى عليه إسحٰق بن سليمان وِفق رواية ابن سعد[6] وابن قتيبة[7].

---

(١) تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٧٩.

(٢) عن وقعة فخ؛ انظر: الطبري، ٦/ ٤١٠ وما بعدها؛ مقاتل الطالبيين، ص ٣٦٦ وما بعدها.

(٣) الكامل، ٦/١٠٩، ١١٩.

(٤) تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨.

(٥) الكامل، ٦/ ٢١٥.

(٦) الطبقات الكبرى، ٥/ ٥٨٧.

(٧) المعارف، ص ٢٨١.

وبذلك؛ أُقفِلَ الستار على تاريخ مدينة الكوفة زمن الحمّادين، تلك المدينة التي كانت عامرة بالعلم والعلماء الذين تفخر كتب التراث بحفظ سِيَرَهم وتتغنى بمآثرهم العلمية والخلوقية، التي كانت ولم تزل مَفخَرَة لأبناء الأمة الأوفياء لسلفهم الصالح.

الباب الأول
أخبار الإمام حماد بن سلمة

الفصل الأول: نشأة حمّاد بن سلمة، ومكانته الفكرية.

الفصل الثاني: حفظ حمّاد بن سلمة وإتقانه، ومآخذ العلماء عليه.

الفصل الثالث: آخر نشاطات حمّاد بن سلمة، ونهايته.

الفصل الأول

نشأة حمّاد بن سلمة ومكانته الفكرية

١ ـ مولد حمّاد، ونشأته العلمية:

هو حمّاد بن سلمة بن دينار الربعي مولاهم[١] أبو سلمة البصري الخزاز[٢]، الإمام الحافظ شيخ. . . . .

(١) شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢، بيروت: دار الكتب العلمية، صورة بالأوفست عن طبعة حيدرآباد، ١٣٧٥/ ١٩٥٥؛ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، لسان الميزان ٧/ ٢١٣، ط ٣، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٦/ ١٩٨٦. «والربعي» نسبة إلى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، ص ٢٢٣، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٨٧/ ١٩٦٧. وإلى جانب تسمية حماد بن سلمة بالربعي؛ فقد اختلفت المصادر حول تسميته، فمنهم مَن قال: «مولى تميم» أي أنهم نسبوه إلى جد ربيعة، ومنهم قال: «مولى قريش»، وقيل أيضًا «مولى حُمَير بن كُراثة التميمي». عن هذه التسمية انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب التاريخ الكبير، ٣/ ٢٣، بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت)، ومحمد بن حبّان البستي، مشاهير علماء الأمصار، بعناية فلايشهمر، ص ١٥٧، القاهرة: مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩/ ١٩٥٩.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير، ٣/ ٢٣؛ وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «البزاز، الخِرَقي، البطائني» ٧/ ٤٤٤، ط ٤. والخزاز هو بائع الخزّ، أي الثياب المصنوعة من الصوف والإبريسم وهي مُباحة، والبزّ: ضرب من =

الإسلام[١]، عالِم أهل البصرة وشيخها في الحديث والعربية والفقه[٢]، وأحد أعلام الأمة[٣].

وُلِدَ حمّاد بن سلمة في أواخر العقد التاسع من القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد؛ استنادًا لرواية شمس الدين الذهبي[٤]؛ أو في بداية العقد العاشر من القرن نفسه وفق رواية التَّبوْذَكي[٥]

= الثياب أيضًا. انظر: جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، «مادة بزز وخزز» ٥/ ٣١١، ٣٤٥ بيروت: دار صادر، دار بيروت (د.ت).

(١) تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٠٢.

(٢) الذهبي، العِبَر في خبر مَن غَبَر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وفؤاد سيد، ١/ ٢٤٨، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣؛ شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم الأدباء، بعناية د.س مرجليوت، ٤/ ١٣٥، ط ١، مصر: مط. هندية ١٩٣٧.

(٣) صفي الدين أحمد الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ص ٧٨، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٢٢.

(٤) ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ، (١/ ٢٠٣) أن حمّاد بن زيد توفي سنة ١٦٧ هـ/ ٧٨٣ م، وقد قارب الثمانين، وبناء على ذلك تكون ولادته في العقد التاسع من القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد أي في حدود سنة ٨٧ هـ/ ٧٠٦ م.

(٥) قال التبوذكي: «مات حمّاد بن سلمة، وقد أتى عليه ست وسبعون سنة» (أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٣)، وبما أن حمّادًا قد توفي سنة ١٦٧ هـ/ ٧٨٣ م تكون ولادته في سنة ٩١ هـ/ ٧١٠ م. والتبوذكي: هو موسى بن إسماعيل المنقري مولاهم أبو سلمة التبوذكي البصري روى عن حمّاد بن سلمة وخلق، وعنه يحيىٰ بن معين وغيره، وثّقه الكبار ومات سنة ٢٢٣/ ٨٣٨. ترجمة ابن حجر في (تهذيب التهذيب، ١٠/ ٣٣٣).

وبحسب الرواية الأخيرة، وهي أكثر دقة، تكون ولادة حمّاد في سنة ٩١ هـ/ ٧١٠ م.

وأما بخصوص طفولة حمّاد وتربيته المبكرة؛ فلم نعثر في المصادر المتوفرة على معلومات توضح الصورة التي كان عليها في صِباه، وبالتالي لم نتبيّن الجهود التي بذلها أهله في توجيهه وتنشئته نشأة علمية ودينية؛ وكلّ ما لدينا من معلومات تُفيد أن والده سلمة بن دينار المعروف بأبي صخرة[١] الحنظلي التميمي؛ كان محدّثًا، وقد روى الحديث الشريف عن أبي حرّة الرقاشي[٢] وحميري بن كُراثة[٣]، وروى عنه ابنه حمّاد[٤].

وهناك أيضًا شخصية بارزة؛ لا بدّ أن يكون لها دورها الفاعل في توجيه حمّاد، والأخذ بيده في ميدان علم الحديث، إنه خاله حُمَيد الطويل[٥] المحدّث الشهير الذي لم تَسْهَ جُلّ

---

(١) طبقات ابن سعد، ٧/ ٢٨٢؛ ابن حبّان، كتاب الثقات، ٦/٢١٦؛ ط. حيدرآباد: الدكن، مط. دائرة المعارف العثمانية، ١٤٠٠/ ١٩٨٠. (أما البخاري فكنّاه بأبي صخر، التاريخ الكبير، ٤/ ٨٠).

(٢) هو حنيفة أبو حرّة الرقاشي وقيل: حكيم بن أبي يزيد، روى عنه علي بن زيد بن جُدعان وسلمة بن دينار، ووثّقه الآجري عن أبي داود ولكن ابن معين ضعّفه، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٣/ ٦٤).

(٣) ذكره البخاري في التاريخ الكبير، ٣/ ١٢١ ـ ١٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ٤/ ٨٠؛ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، كتاب الجرح والتعديل، ٤/ ١٥٩، صورة بالأوفست عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، (د.ت).

(٥) هو حُميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة الخزاعي مولاهم البصري، روى =

المصادر عن ذكر اسمه كلما أرادت التعريف بحمّاد أو الإشادة بقدراته العلمية[1]، وكأنها ـ أي المصادر ـ هدفت إلى تزكية حمّادٍ لقرابته القريبة لأحد المحدّثين الأجلاّء، بخاصّة وأن ابن سَلمة قد عايش خاله حُميد الطويل ما يزيد على نصف قرن من الزمان.

والجدير بالذكر؛ أن حمّادًا لم يكن في أول أمره ينشد الحديث، وإنما كان مأخوذًا بتعلّم العربية، وقد أفادنا عن ذلك ياقوت الحموي، فقال: «كان حمّاد يمرّ بالحسن البصري[2] في الجامع، فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية فيتعلّم منهم»[3].

ولعل الملاحظة الوحيدة التي تدلّ على اجتهاد حمّاد ونبوغه في صِباه؛ هو ما أدلى به شيخه أيوب السختياني، فقال لجلسائه

= عن أنس بن مالك وثابت البناني والحسن البصري وغيرهم، وعنه ابن أخته حمّاد بن سلمة ويحيىٰ بن سعيد وحمّاد بن زيد والسفيانان وشُعبة ومالك وآخرون، متفق على توثيقه، أخرج له الجماعة، توفي سنة ١٤٣/ ٧٦٠. مترجم في: (تهذيب ابن حجر ٣/٣٨).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٢؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨١؛ الجرح والتعديل، ٣/ ١٤٠؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٤.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، الإمام شيخ الإسلام، من سادات التابعين، قال ابن سعد: «كان عالمًا رفيعًا ثقة حجة مأمونًا عابدًا، وقال الذهبي: «هو مدلس فلا يُحتجّ بقوله عمّن لم يدركه». مات سنة ١١٠/٧٢٨؛ (تذكرة الحفاظ، ١/ ٧١).

(٣) شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم الأدباء، بعناية د.س مرجليوت، ٤/ ١٣٥، ط ١، مصر: مطبعة هندية، ١٩٣٧.

أثناء نقدهم الرجال وتقديم بعضهم على بعض: «هاتوا مثل فتانا حمّاد»[1].

من جهة أخرى؛ لدينا ملاحظة ثانية؛ تبيّن أن ابن سلمة كان يطلب الحديث ابتغاء وجه الله عز وجل، وليس بدافع التفاخر أو التعالي على شيوخه وأقرانه، ولعل تلك الصفات الحميدة ظلّت ملازمة له حتى بعد أن لمع اسمه بين مُعاصِريه، وأصبح صاحب حلقة خاصة به، عن ذلك تحدّث قرينه حمّاد بن زيد، فقال: «ما كنّا نرى مَن يتعلّم بنيّة غير حمّاد بن سلمة، وما نرى اليوم مَن يُعلّم بنيّة غيره»[2].

مهما يكن من أمر؛ فالواضح، أن حمّاد بن سلمة بَدأ يقرأ القرآن ويحفظ آياته ويرتّل سوره قبل أن يدخل مُعتَرَك علم الحديث وهذه هي القاعدة التي كانت سائدة آنذاك لمَن يريد أن يسلك طريق العلم الشاقّ والمُمتع في آنٍ معًا، والثابت لدينا؛ أن حمّادًا أصبح عالِمًا بالقرآن وصاحب قراءة خاصّة به. فذكر صاحب طبقات القرّاء[3]، أنه «روى القراءة عرضًا عن

---

(١) يعقوب بن سفيان الفسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ٢/ ١٩٥، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٣٩٤/ ١٩٧٤.

(٢) شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، ١/ ٥٩٢، ط ١، بيروت: دار المعرفة ١٩٦٣؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠؛ قابل: طبقات ابن سعد، ٧/ ٢٨٢؛ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٦/ ٢٥٠، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

(٣) أبو الخير محمد الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، بعناية ج. =

عاصم[1] وابن كثير[2]، وروى عنه الحروف[3]، حَرَمي بن عُمارة، وحجاج بن المنهال وشيبة بن عمرو المصيصي، وهو الذي روى عن ابن كثير أنه قرأ ﴿أنْ يَعمُرُوا مَسَاجِدَ الله﴾[4] ﴿إنما يَعْمُرُ مَساجِد الله﴾[5] جميعًا بغير ألف على التوحيد، تفرّد في الثاني، كذلك عن ابن كثير، وروى عن ابن كثير أيضًا ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ في الصدقات﴾[6]، ومنهم من يلامزك بالألف، تفرّد بذلك عنه أيضًا.

ولعله؛ بعد أن انتهى ابن سلمة من إتقان القرآن الكريم، ودرس العربية بجديّة انكبّ على علم الحديث، فارتاد حلقاته وسمع شيوخه، فأخذ عن عدد لا يُستهان به من كبار الرواة. قال

= برجستراسر، ١/٢٥٨، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.

(١) هو عاصم بن أبي النجود بن بهدلة الأسدي الكوفي، أحد القرّاء السبعة وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالكوفة، متفق على توثيقه، حديثه في الكتب الستة مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٥/٣٨ ـ ٤٠؛ طبقات القرّاء، ١/٣٤٦ ـ ٣٤٩).

(٢) هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد القارىء، متفق على توثيقه، وإليه صارت قراءة أهل مكة، توفي سنة ١٢٠/٧٣٨، مترجم في: (التهذيب، ٥/٣٦٧ ـ ٣٦٨؛ طبقات القرّاء، ١/٤٤٣ ـ ٤٤٥).

(٣) ذكر ابن منظور أنه كل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حَرْفًا، كأن تقول: هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود. وقال ابن سيدة: «والحرف القراءة التي تُقرأ على أوجُه». (لسان العرب، «مادة حرف»).

(٤) سورة التوبة، آية: ١٧.

(٥) السورة نفسها، آية: ١٨.

(٦) السورة نفسها، آية: ٥٨.

صاحب صفة الصفوة: «أسند حمّاد بن سلمة عن خَلْق لا يُحصَون من التابعين»[1]، وأشهر شيوخه الذين روى عنهم:

ابن أبي مُلَيْكة - وهو أكبر شيخ له -، وأنس بن سيرين، ومحمد بن زياد القرشي، وثابت البناني، وأبي حمزة نَصر بن عِمران الضُّبعي، وعمّار بن أبي عمّار، وعبد الله بن كثير الداري المقرىء، وأبي عمران الجوني، وقتادة بن دعامة، وسماك بن حرب، وخاله حُمَيْد الطويل، وحمّاد بن أبي سليمان الفقيه، وأبي العُشراء الدّارمي، ويعلى بن عطاء، وبشر بن حرب النَّدَبي، وعلي بن زيد، وأيوب السختياني، ويُونس بن عُبيد، وعمرو بن دينار، وأبي الزبير المكّي، ومحمد بن واسع، ويزيد الرُّقاشي، وعطاء بن عجلان، وعطاء بن السائب، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وخالد الحذاء، وسليمان التيمي وغيرهم[2]، ولقد كانت أشهر رواياته وأثبتها تلك التي اختصّت بثابت البناني وخاله حُمَيد الطويل وعلي بن زيد[3].

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، صفة الصفوة، بعناية إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، ٣/ ٢٤٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩/١٩٨٩؛ قابل حلية الأولياء، ٦/ ٢٥٢.

(٢) عن شيوخ حمّاد بن زيد؛ انظر: أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٤ - ٤٤٥؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١ - ١٢. وفي أماكن متفرقة من تاريخ يحيى بن معين، تحقيق عبد الله حسن (٢/ ٣٢، ٧٥، ٧٨، ٩٣، ١١٠، ١١٧، ١٢٧، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٥، ١٦٦، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٨، ٤٠٣). بيروت، دار القلم، (د.ت).

(٣) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢.

والجدير بالذكر؛ أن اجتماع حمّاد بن زيد بهذا العدد الكبير من الشيوخ، كان يتطلب منه الرحلة من أجل الحديث، ولكن المصادر لم تُشِرْ إلى تلك الناحية، باستثناء ما ذكره الذهبي في أنه قصد مكة، وكان في نيّته الاجتماع بعطاء بن أبي رباح[1]، ولكنه فشل في ذلك، وقد حدّث حمّاد عن تجربته تلك، فقال: «قَدِمتُ مكة - وعطاء بن أبي رَباح حيّ - في شهر رمضان، فقلتُ: إذا أفطرتُ، دخلتُ عليه، فمات في رمضان»[2]. وكان حمّاد حينئذٍ في العقد الثالث من العمر؛ لأن عطاء توفي سنة ١١٤/ ٧٣٢[3].

وبطبيعة الحال؛ فقد كان لحمّاد رحلات أخرى لم تذكرها المصادر بشكل واضح؛ لأن اجتماعه بشيوخ الكوفة وغيرهم من شيوخ العالم الإسلامي كان يتطّلب منه التنقّل والتّرحال كسائر أئمة الحديث في ذلك الزمان[4].

---

(١) مكي، تابعي، متفق علي توثيقه، كان مفتي أهل مكة في زمانه، توفي سنة ١١٤/ ٧٣٢، له ترجمة في: (التاريخ الكبير، ٦/ ٤٦٣ - ٤٦٤؛ أحمد بن عبد الله العجلي، تاريخ الثقات، باعتناء عبد المعطي قلعجي، ص ٣٣٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥/ ١٩٨٤؛ تهذيب ابن حجر، ٧/ ١٩٩ - ٢٠٣).

(٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠.

(٣) تهذيب ابن حجر، ٧/ ٢٠٢.

(٤) عن الرحلة في طلب الحديث؛ انظر كتابنا: الإمام سفيان بن سعيد الثوري سيّد الحفّاظ، ص ٦١ وما بعدها، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢/ ١٩٩٢؛ وكتابنا أيضًا: الإمام شُعبة بن الحجاج الأزدي سيّد المحدّثين، ص ٦٣ وما بعدها، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣/ ١٩٩٣.

ولعل ابن سلمة كان يثقل على شيوخه إبان أخذه الحديث، بدليل ما ذكره مسلم بن إبراهيم، فقال: «سمعت حمّاد بن سلمة يقول؛ كنت أسألُ حمّاد بن أبي سليمان[1] عن أحاديث مسنده، والناس يسألونه عن رأيه، فكنت إذا جئته، قال؛ لا جاء الله بك»[2] وربما لهذا السبب كان حمّاد يردّد هذا القول: «إن الرجل ليثقُل حتى يَخِفَّ»[3].

والواضح؛ أن حمّادًا كان يتخوّف من أن يقصّ أو يحدّث، لأنه منذ طفولته وهو يتلقى النصيحة تلو النصيحة في البُعْد عن ذلك، فمنهم مَن كان يحذّره من الحديث لأن فتنته أشد من فتنة الذهب والفضة[4].

وقد روى حمّاد قصة حُفِرَت في ذاكرته ووجدانه، وظلت تزرع الشكوك في قدراته، وتُثبِط حماسه وإقدامه؛ حتى جاء مَن يبدّد فيه تلك المخاوف، ويحثّه على العطاء والسير في ميدان الحديث.

---

(١) هو أبو إسماعيل الأشعري الكوفي: أحد أئمة الفقهاء، وثّقه ابن معين والعجلي والنسائي وابن حيّان، وروى عنه الثقات الكبار: سفيان الثوري وشُعبة بن الحجاج وهشام الدستوائي وغيرهم، له ترجمة في: (التاريخ الكبير ٩/ ١٨؛ تاريخ الثقات، ص ١٣١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٦).

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠.

(٣) المكان نفسه.

(٤) انظر: سفيان الثوري، ص ٧٢ وما بعدها.

فالحادثة التي خوّفته من حلقة الحديث؛ هي تجربته مع إياس بن معاوية، والتي تحدّث عنها أبو خالد الرازي فقال: «قال حمّاد بن سلمة: أخذ إياس بن مُعاوية[1] بيدي، وأنا غُلام فقال: لا تموتُ حتى تَقُصّ[2]، أما إني قلتُ هذا لخالك ـ يعني حُميد الطّويل ـ فما مات حتى قصّ». قال أبو خالد: «فقلت لحمّاد بن سلمة: قصصت أنت؟ قال: نعم»[3].

وأما الدافع الذي حثّه على أن يخطو الخطوة الأولى نحو حلقة الحديث، فهو الحلم الذي رواه حمّاد عن نفسه. فقال: «ما كان في نيّتي أن أحدّث حتى رأيت أيوب ـ يعني السختياني[4] ـ في النوم، فقال لي: حدّث، فإن الناس يقبلون»[5]، فكانت نصيحة شيخه أيوب بمثابة إجازة أو تزكية منه للخوض في ذلك المُعتَرَك الصعب.

---

(١) إياس بن معاوية بن قرة: بصري، كان فقيهًا عفيفًا، وكان على قضاء البصرة وقد وثّقه ابن معين، والنسائي، وابن حبّان. (تاريخ الثقات، ص ٧٥؛ تهذيب ابن حجر، ١/ ٣٩٠).

(٢) قال الذهبي: «القاصّ هو الواعظ»، أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.

(٣) طبقات ابن سعد، ٧/ ٢٨٢؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.

(٤) أبو بكر البصري، رأى أنس بن مالك وروى عن عمرو بن سلمة الجرمي وعنه الأعمش وقتادة والحمّادان والسفيانان وشُعبة، كان يدعى سيّد الفقهاء وسيّد شباب أهل البصرة، متفق على توثيقه، مات سنة ١٣١/٧٤٨. (تهذيب ابن حجر، ١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

(٥) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ قارن: الحلية، ٦/ ٢٥١؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٩.

على كل حال؛ فإن هذه الحادثة تفيدنا في تحديد الفترة التي بدأ فيها حمّاد بن سلمة في رواية الحديث، أو عقده حلقات العلم، والتي أُقدّر تاريخها فيما بعد سنة ١٣١/٧٤٨، وهي السنة التي مات فيها أيوب السختياني[١] وبناءً على ما تقدّم؛ يكون حمّاد بن سلمة قد بدأ روايته وهو في العقد الخامس من العمر.

ومن المفيد أن نذكر؛ أنه لمّا بلغ حمّاد مرتبة الشهرة وذاع صيته في البصرة وفي معظم الأقطار الإسلامية، تواكب شيوخ الحديث إلى حلقاته؛ بسماع حديثه والرواية عنه، فحدّث عنه كبار الأئمة والشيوخ منهم:

ابن جُرَيج، وسفيان الثوري، وشُعبة بن الحجاج، وعبد الله ابن المبارك، ويحيىٰ بن سعيد القطان، وعبد الرحمٰن بن مهدي، وأبو نُعَيم الفضل بن دكين، وأبو داود، وأبو الوليد الطيالسي، وعفان بن مسلم، ووكيع بن الجراح، وحَرَمي بن عُمارة، وأبو سلمة التبوذكي، وشَيْبان بن فَرُّوخ، وهُدبة بن خالد، وعبد الله بن معاوية الجُمَحي، وعبد الواحد بن غِياث، والحسن الأشعث، والأسود بن عامر بن شاذان، وبشر بن السري، وبهز بن أسد، وسليمان بن حرب، وأبو نصر التمار، وخلق سواهم[٢]، وآخر مَن زعم أنه سمع منه: أحمد بن أبي

---

(١) تهذيب ابن حجر، ١/٣٩٨.

(٢) الجرح والتعديل، ٣/١٤٠ ـ ١٤١؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٤٥؛ تهذيب ابن حجر، ٣/١٢.

سُليمان القواريري، المتروك، المتّهم، الذي لقيه محمد بن مَخْلَد العَطّار، في سنة ٢٧٠/ ٨٨٤[١].

والواضح؛ أن حمّادًا كان لا يمانع في أن يأخذ عنه المشائخ إملاء، على عكس ما كان عليه شُعبة بن الحجّاج وغيره من كبار الأئمة[٢]، بدليل ما حدّث به علي بن عبد الله، قال: قلت ليحيىٰ: «حملت عن حمّاد بن سلمة؟ قال: نعم، إملاء كلها، إلاّ شيئًا كنت أسأله عنه في السوق، فأتحفظ. قلت ليحيىٰ: كان يقول: حدَّثني وحدّثنا؟ قال: نعم، كان يجيء بها عفوًا، حدّثني وحدّثنا»[٣].

ويشهادة أصحاب حمّاد؛ فإنه كان يتقبّل طلاب العلم بصدر مُنشَرح وعزيمة قوية، فلا يثنيه عن عطائه ظروف الطبيعة، ولا ضعف جسمه ووهنه، عن ذلك حدّث أبو ربيعة فهد بن عوف، قال: «جئنا إلى حمّاد بن سلمة في يوم حارّ شديد الحرّ، وصلّينا معه الظهر، وكان حمّاد صاحب ليل، وظننّا أنه صائم، قال: فرحمناه حماية من الجهد، وأجمعنا على أن ننصرف عنه لا نسأله عن شيء، فتفرّقنا وبقي مَن بقي. قال: فركع بعد الفريضة، وخرج من المسجد وصار في الطريق في الشمس، فانبرى له غلام حدّث فسأله عن شيء معه، فوقف في الشمس معه يُسائله

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٥.

(٢) انظر: شُعبة بن الحجاج الأزدي، ص ٨٤ ـ ٨٥.

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.

ويحدّثه قال: فقال له بعض مشيخة المسجد: يا أبا سلمة انصرف أصحابنا عنك لمّا رأوا بك من الضعف، ووقفت مع هذا الغلام في الشمس تحدّثه. قال: رأيت في هذه الليلة كأني أسقي فسيلة أَصُبّ الماء في أصلها، فتأوّلت رؤياي على هذا الغلام حين سألني»[١].

بالنتيجة؛ فإن هذه المعطيات التي زوّدتنا بها المصادر، وعلى الرغم من تواضعها؛ فقد ساهمت إلى حدٍّ كبير في إبراز صورة حمّاد بن سلمة؛ كما كشفت عن نشأته العلمية وموقفه المتردّد من علم الحديث الذي أصبح فيما بعد جزءًا من كيانه الشخصي وبالتالي ساهم في ديمومته وتخليده بين فحول المحدّثين.

٢ ـ مكانته الفكرية:

الواضح؛ أن حمّاد بن سلمة لم يكن عالمًا بالحديث الشريف فحسب، وإنما كان بارعًا في العربية[٢]، بل كان إمامًا كبيرًا فيها[٣]، وبملاحظة ابن قتيبة[٤]؛ أنه كان عالمًا بالنحو والعربية، وأن سيبويه[٥] النحوي استملى له.

---

(١) المعرفة والتاريخ، ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٠٣.

(٣) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢؛ العِبَر، ١/ ٢٤٨؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧.

(٤) المعارف، ص ٢٨٤.

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، وقد أخذ النحو عن الخليل بن أحمد وهو أستاذه وهو =

وقد أكّد هذه الحقائق صاحب كتاب معجم الأدباء[1]، فذكر أن حمّادًا كان عالمًا بالحديث والعربية والفقه، وأن يونس ابن حبيب النحوي[2]؛ كان في عِداد الذين أخذوا العربية عنه، ولما سُئِلَ يونس: «أيّها أسنّ، أنت أو حمّاد؟ قال: «حمّاد أسنّ مني ومنه تعلمت العربية»[3].

وأما بخصوص علاقة حمّاد بسيبويه؛ فقد أورد ياقوت الحموي[4]، قصة تُظهِر مدى أهمية حمّاد بالعربية فذكر أنه بينما كان سيبويه يستملي على حمّاد، قال حمّاد: قال رسول الله (ﷺ): «ما من أحد من أصحابي إلا مَن لو شئتُ لأخذتُ عنه علمًا ليس أبا الدرداء[5]، فقال سيبويه: «ليس أبو الدرداء»،

= صاحب كتاب النحو الفريد من نوعه، توفي سنة ١٧٧/ ٧٩٣. (محمد ابن إسحٰق بن النديم، كتاب الفهرست، ص ٧٦، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

(١) ياقوت الحموي، ٤/ ١٣٥.

(٢) هو من الموالي، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء، وكانت حلقته بالبصرة وينتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب، وله عدّة تصانيف وتوفي سنة ١٨٣/ ٧٩٩. (الفهرست، ص ٦٣).

(٣) معجم الأدباء، ٤/ ١٣٥؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠.

(٤) معجم الأدباء، المكان نفسه.

(٥) أبو الدرداء: هو عويمر بن مالك الأنصاري، وقيل ابن زيد، وقيل غير ذلك، روى عن النبي (ﷺ)، وعائشة، وزيد بن ثابت، روى عنه ابنه بلال وزوجته أم الدرداء، وفُضالة بن عبيد وأبو أمامة وغيرهم، قيل إنه أسلم يوم بدر وشهد أُحدًا، فقال فيه الرسول (ﷺ) يومها: «نعم الفارس عويمر». (تهذيب ابن حجر، ٨/ ١٧٥ ـ ١٧٧).

فقال له حمّاد: «لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء»، فقال: «لا جرم لأطلبنّ علمًا لا تلحنني فيه أبدًا». فطلب النحو ولزم الخليل ابن أحمد[1].

ولعل ابن سلمة كان يشجّع طلاب الحديث على الإلمام بالنحو نظرًا لأهميته ولدوره الفاعل في علم الحديث، فكان يقول وعلى مسمع من طلاّب مجالسه وروّاد حلقاته: «مَثَلُ الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مَثَلُ الحمار عليه مخلاتُهُ لا شعير فيها»[2].

فهذا جُلُّ ما يتعلق بأهمية حمّاد في اللغة؛ التي تبوّأ فيها مركز الصدارة، أما عن مكانته في علم الحديث، فقد كان مع تقدمه في العربية إمامًا في الحديث، ثقة، ثَبْتًا، حتى قالوا فيه: «إذا رأيت الرجل يقع في حمّاد فاتهمه في الإسلام»[3]، فكأن النقّاد رأوا فيه المعيار الحقيقي للمسلم الأصيل؛ لأن مَن زكّاه فقد

---

(١) هو الخليل بن أحمد العروضي النحوي، كان ذكيًا فطنًا لطيفًا، وهو أول مَن استخرج علم العروض وابتدعه، وفتق عيون النحو وشرح علله، وهو صاحب كتاب العين الذي هو أصلٌ لكتب اللغة ومنه تفرّعت، وكان الخليل شاعرًا فصيحًا وعالمًا ورعًا ديّنًا. (أبو سعيد نشوان الحميري، الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، ص ١٦٤ ـ ١٦٥، ط ٢، بيروت: دار آزال للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

(٢) محمد بن الحسين بن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، ٢/ ١٦٢، ط ١، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٤.

(٣) معجم البلدان، ٤/ ١٣٥؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

زكّى الإسلام، ومَن طعنه أو اتهمه فقد مسّ جوهر الدين ومبادىء الشرع.

ومما يعزّز من قدر حمّاد بين المحدّثين ما ذكره علي بن جرير على لسان ابن المبارك، فقال: «سألت عبد الله بن المبارك بالبصرة عن مسائل، فقال: أئت معلّمي، قلت: ومَن هو؟ قال: حمّاد بن سلمة»(١).

على كل حال؛ لكي تبرز صورة حمّاد بن سلمة بين معاصريه، وتتوضّح مكانته العلمية، لا بدّ من إجراء مقارنة عادلة بينه وبين أئمة الحديث، وبالتالي نتطرّق إلى تخصّصه في الشيوخ الذين أخذ عنهم، لنرى مدى إتقانه للرواية، وقدرته على حفظ الأسانيد، وتفوّقه على غيره من المحدّثين.

الواقع؛ لقد أشاد الأئمة وكبار المحدّثين بالمكانة الرفيعة التي بلغها حمّاد بن سلمة في ميدان علم الحديث، فقالوا فيه ما يليق به، ويحافظ على هيبته، ويرفع من مقداره، ففي بادىء الأمر عمدوا إلى تصنيفه وتحديد موقعه بين العلماء، فقال إسحٰق بن الطباع: قال لي سفيان بن عُيينة: «العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالم بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالم بالله». قال ابن الطباع معلّقًا على هذا التصنيف: «الأول كحمّاد ابن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج العابد، والثالث كأبي يوسف»(٢).

---

(١) ثقات ابن حبان، ٦/ ٢١٧.

(٢) معجم الأدباء، ٤/ ١٣٦. وزاد الذهبي في آخر الخبر، فقال بسنده: «وعالم=

فحمّاد بنظر معاصريه؛ يأتي في طليعة الركب، ويحتل الصدارة بصفته عالمًا بالله وبالعلم، ويكفينا دلالة على يقين حمّاد؛ قوله المبدئي في علم الحديث: «مَن طلب الحديث لغير الله مُكِرَ به»[1].

وتظهر أهمية حمّاد بشكل جليّ؛ إذا أجرينا مفاضلة بينه وبين معاصريه من سادة علماء الحديث. والملفت للنظر؛ أن سيرة حمّاد العلمية وحُسْن أدائه للحديث كانا موضوع نقاش بين جمهرة المحدّثين. فذكر صاحب كتاب الجرح والتعديل أنه تذاكر قوم عند يحيىٰ بن الضريس[2]، حمّاد بن سلمة أحسن حديثًا أو الثوري؟ فقال يحيىٰ: «حمّاد أحسن حديثًا»[3].

والملاحظ؛ أنه في بعض المجالس كان المحدّثون ينقسمون على أنفسهم بين مؤيدٍ لحمّاد بن سلمة وبين معارض له، أو مؤيد لغيره من الأعلام، في هذه الحالة كان القوم يلجأون إلى مَن هو أعرف منهم ليعالج الأمر ويحسم الخلاف بينهم، وبالتالي يصدر

= بالعلم ليس بعالم بالله أبو يوسف وأستاذه»، ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢.

(١) الحلية، ٦/ ٢٥١؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣.

(٢) يحيىٰ بن الضُريس بن يسار البجلي مولاهم أبو زكريا الرازي القاضي، روى عن عكرمة وزائدة والثوري وعنه يحيىٰ بن معين الذي وثّقه، وقال النسائي لا بأس به، مات سنة ٢٠٣/ ٨١٩. مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ١١/ ٢٣٢).

(٣) ابن أبي حاتم، ٣/ ١٤٢، قابل: جلال الدين السيوطي، طبقات الحفّاظ، ص ٥٤، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

فيه حكمه المبرم. عن ذلك؛ حدّث عفان بن مسلم، قال: «اختلف أصحابنا في سعيد بن أبي عَرُوبة[1]، وحمّاد بن سلمة، فصرنا إلى خالد بن الحارث[2]، فسألناه فقال: حمّاد أحسنهما حديثًا، وأثبتهما لزومًا للسُّنّة، فرجعنا إلى يحيىٰ القطّان[3] فأخبرناه، فقال: قال لكم وأحفظهما؟ قلنا: لا»[4].

وهكذا تفوّق ابن سلمة على سعيد بن أبي عروبة في حُسْن الحديث وملازمته للسُّنّة الشريفة، وفي الحفظ والإتقان؛ وكما تفوّق من قبل على الثوري، وعلى ابن أبي عروبة أيضًا في حُسْن الحديث. كذلك كان أبو بكر بن عياش[5] لا يكاد يُجاريه في

---

(١) بصري، ثقة، وكان اختلط بآخره، ذكره العجلي في تاريخ الثقات (ص ١٨٧) ومترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٤/ ٦٣).

(٢) أبو عثمان البصري، روى عن حميد الطويل وأيوب وشُعبة والثّوري وعنه علي بن المديني وشُعبة. كان يقال له خالد الصدق، متفق على توثيقه، = مات سنة ١٨٦/ ٨٠٢، مترجم في: (تهذيب ابن حجر ٣/ ٨٣).

(٣) هو يحيىٰ بن سعيد القطان، أبو سعيد البصري، نقي الحديث، وكان لا يحدّث إلا عن ثقة، توفي سنة ١٩٨/ ٨١٣. ذكره العجلي (ص٤٧٢)، مترجم في: (التهذيب، ١١/ ٢١٦ ـ ٢٢٠).

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٤.

(٥) أبو بكر بن عباس بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرىء، والثابت أن اسمه كنيته، روى عن الكبار كأبي إسحٰق السبيعي وطبقته وعنه الثوري وابن المبارك وأبو داود الطيالسي، وثّقه جماعة وقال أحمد: «صدوق، ثقة» وذكره ابن حبّان في الثقات، وكان يحيىٰ القطان وعلي بن المديني يُسيئان الرأي عنه وذلك أنه لما كبر ساء حفظه، مات هو وهارون الرشيد في شهر واحد سنة ١٩٣/ ٨٠٩، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ١٢/ ٣٤ ـ ٣٧).

شيء، وقد تحمّس ابن حبّان لهذا الأمر، فقال: «. . .وأنى يبلغ أبو بكر بن عياش مبلغ حمّاد بن سلمة في إتقانه، أم في جمعه، أم في علمه، أم في ضبطه»[١].

أما من حيث قدراته العلمية فقد وضعه رجال الجرح والتعديل[٢]، في مصاف سادة القوم؛ أمثال: سفيان بن سعيد الثوري سيّد الحفّاظ، وشُعبة بن الحجاج الأزدي سيّد المحدّثين، عن ذلك حدّث أبو طالب زيد بن أخزم الطائي، قال؛ سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «قال رجل يومًا: العلم عند شُعبة وسفيان وحمّاد. فأنكرت عليه حمّاد أن يكون مثل شُعبة وسفيان، ولم أكن بحديثه عالمًا، فلما كتبتُ حديثه علمتُ أنه صدق، فإن حمّادًا عالم»[٣].

ولدينا رواية أخرى تبيّن أن الإمام أحمد بن حنبل كان مقدّرًا لحديث حمّاد بن سلمة، حتى أنه كان يسعى للاجتماع برُواته ليسمع منهم ما فاته من أحاديثه الجِياد[٤]، كما كان عبد الله ابن المبارك مهتمًا بحديث حمّاد ويقول فيه: «أعياني حديث حمّاد ابن سلمة»[٥].

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠.

(٢) أول مَن جرح الرجال وعدلهم: شُعبة بن الحجاج، ثم تبعه يحيىٰ بن سعيد القطان، ثم بعده أحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين.

(٣) المعرفة والتاريخ، ٢/ ١٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٤.

(٥) المكان نفسه.

إلى جانب ما قيل عن أهمية حمّاد بن سلمة ومكانته الفكرية واهتمام الأئمة الأعلام بحديثه، فقد كان صاحب اختصاص في ثُلّة من الرجال الذين يُعَوّل عليهم في علم الحديث، وأكثر من ذلك، فقد كان متفوقًا على غيره في حديث ثابت البناني، وعلي بن زيد وحميد الطويل وغيرهم.

أما بما يتعلق بتخصّص حمّاد في حديث ثابت؛ فتحدّث أحمد بن حنبل ويونس بن يزيد ويحيىٰ بن معين وعلي بن المديني وغيرهم. فقال الإمام أحمد: «حمّاد بن سلمة أعلم الناس بثابت»[1]. ولما حاول المحدّثون مقارنته بمعمر بن راشد[2] قال أحمد: «حمّاد بن سلمة أثبت في ثابت من معمر»[3]. وفيما حاول النقّاد مقارنته بجماعة من المحدّثين، حسم أحمد الخلاف قائلاً: «أثبتهم في ثابت حمّاد»[4].

كذلك تصدّى يونس بن يزيد[5] للأمر نفسه؛ فلما سُئِلَ عن معمر فيما روى عن ثابت. قال: «ما أحسن حديثه! ثم قال:

---

(١) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١.

(٢) أبو عروة، بصري، متفق على توثيقه، قال ابن معين: معمر عن ثابت ضعيف مترجم في: (تاريخ الثقات، ص ٤٣٥؛ تهذيب ابن حجر، ١٠/ ٢٤٣ ـ ٢٤٦).

(٣) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٢.

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

(٥) يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي، متفق على توثيقه، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ١١/ ٤٥٠).

حمّاد بن سلمة أحبّ إليّ، ليس أحد أثبت في ثابت من حمّاد بن سلمة»[1]، ثم ذكر قصة بيّن من خلالها تمكّن حمّاد من أحاديثه، فقال: «كنت آتيه فأقول هذا قاصّ، فأقلب عليه الحديث، فأقول: كيف هو هذا؟ فيقول: لا! هو عن فلان»[2].

والواضح؛ أن يحيىٰ بن معين[3] وعلي بن المديني[4] قد انسجم رأيهما مع رأييّ الإمام أحمد ويونس، فقال ابن معين: «مَن خالف حمّاد بن سلمة في ثابت؛ فالقول قول حمّاد، قيل له: فسليمان بن مُغيرة[5] عن ثابت؟ قال: سليمان ثَبت، وحمّاد أعلم الناس بثابت»[6]. ثم حسم علي بن المديني الجدال بقوله:

---

(١) المعرفة والتاريخ، ٢/ ٢٠١.   (٢) المكان نفسه.

(٣) هو الإمام الحافظ، شيخ المحدّثين، أحد الأعلام، كان عالمًا بأحوال الرواة وأنسابهم، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، توفي سنة ٢٣٣/ ٨٤٨. مترجم في: (طبقات ابن سعد، ٧/ ٣٥٤؛ تذكرة الحفاظ، ٤٢٩؛ تهذيب ابن حجر، ١١/ ٢٨٠).

(٤) هو علي بن عبد الله بن جعفر أبو الحسن البصري، العَلَمُ، الثَّبْت، الحافظ، الحجة، إمام أهل الحديث، والرائد في علم الرجال والعِلل. ولد سنة ١٦١/ ٧٧٨ في عصر فحول علم الحديث كابن حنبل، وابن مهدي، وابن عُيينة، ويحيىٰ القطان وروى عنه البخاري وأبو داود مات سنة ٢٣٤/ ٨٤٩، مترجم في: (طبقات ابن سعد، ٧/ ٣٠٨؛ التاريخ الكبير، ٦/ ٢٨٤؛ الجرح والتعديل، ٦/ ١٩٣).

(٥) متفق على توثيقه، أخرج له الجماعة، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٤/ ٢٢٠).

(٦) تاريخ ابن معين، ٢/ ٢٠٧، ٢٣٠؛ انظر: المسعودي؛ مروج الذهب، ٣/ ١٤١؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٠.

«لم يكن في أصحاب ثابت أثبت من حمّاد بن سلمة»[1].

بعد ذلك؛ تأتي شهادة أئمة الحديث في تخصّص حمّاد ابن سلمة وتفوّقه في حديث خاله حُميد الطويل، في هذا المجال جاءت شاهدة أحمد بن حنبل[2] ويحيىٰ بن مُعين[3] وزيد بن أخزم الطائي[4] متقاربة؛ إذا لم نقل هي نفسها مع بعض الإضافات، فقالوا في مواضع مختلفة: «حمّاد بن سلمة أعلم الناس بحديث حُميد وأصحّهم حديثًا». وقال أبو طالب، زيد بن أخزم: «هو أثبت الناس في حُميد الطويل، سمع منه قديمًا، ويخالف الناس في حديثه»[5].

وعن تخصّص حمّاد بحديث علي بن زيد[6] تحدّث يحيىٰ ابن معين وأحمد بن حنبل وأبو حاتم الرازي، فقال يحيىٰ[7]

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٢.

(٢) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٩٤.

(٣) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ٢٣٠.

(٤) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٢؛ وزيد بن أخزم: هو أبو طالب البصري الحافظ، متفق على توثيقه، روى له الجماعة سوى مسلم، ذبحه الزنج سنة ٢٥٧/ ٨٧٠، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٣/ ٣٩٣).

(٥) التهذيب، ٣/ ١٢، وقال أحمد: «هو أثبتهم في حميد الطويل». أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٠.

(٦) علي بن زيد بن جُدعان، بصري، ليس بالقوي، كان يتشيّع، وقيل: لا بأس به. (تاريخ الثقات، ص ٣٤٦؛ التهذيب، ٧/ ٣٢٢).

(٧) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣.

وابن حنبل[1]: «هو أعلم من غيره بعليّ بن زيد». وأما أبو حاتم الرازي؛ فقارن بين حمّاد وغيره من المحدّثين في ثابت وابن زيد فقال: «حمّاد بن سلمة في ثابت وعلي بن زيد أحبّ إليّ من همّام[2]، وهو أضبط الناس وأعلمه بحديثهما بيّن خطأ الناس، وهو أعلم بحديث علي بن زيد من عبد الوارث[3]»[4].

وبالنسبة لتخصّص حمّاد بحديث زياد، قال يحيىٰ بن سعيد القطّان: «حمّاد بن سلمة عن زياد الأعلم، وقيس بن سعد[5] ليس بذاك»[6]. ولكن حديث حمّاد عن الشيوخ عن ثابت وأبي حمزة[7] وهذا الضرب[8]. يعني أنه ثبت فيهما.

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٥.

(٢) هو همام بن يحيىٰ بن دينار الأزدي، أبو عبد الله البصري، متفق على توثيقه أخرج له الجماعة، توفي سنة ١٦٤/ ٧٨١، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ١١/ ٦٧).

(٣) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري، أبو عبيدة البصري، أحد الأعلام، متفق على توثيقه، مات سنة ١٨٠/ ٧٩٦، مترجم في: (التاريخ الكبير، ٦/ ١١٨؛ والتهذيب، ٦/ ٤٤١).

(٤) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١.

(٥) قيس بن سعد المكي، أبو عبد الله الحبشي، مولى أم علقمة، موثوق، مات سنة ١١٩/ ٧٣٧، مترجم في: (التاريخ الكبير، ٤/ ١/ ١٥٤؛ التهذيب، ٨/ ٣٩٧).

(٦) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢.

(٧) هو نصر بن عمران بن عصام أبو حمزة الضبعي البصري، روى عن الكبار مثل ابن عباس وابن عمر وأنس، وعنه شُعبة والحمّادان، متفق على توثيقه، مترجم في: (التهذيب، ١٠/ ٤٣١).

(٨) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١، قابل: أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.

ومما يرفع من قدر حمّاد؛ أن شُعبة بن الحجاج سيّد المحدّثين كان يستفيد منه، خصوصًا بما يتعلق بحديث عمّار بن أبي عمّار[1] ومحمد بن زياد[2]، فعلى ذمّة يحيىٰ بن سعيد أن شُعبة سُمِع يقول: «كان حمّاد بن سلمة يُفيدني عن عمّار بن أبي عمّار»[3]، وأكّد علي بن المديني على تخصّص وتفوّق حمّاد بحديث عمّار، فقال: «هو أعلم الناس بعمّار بن أبي عمّار»[4]. وقال علي بن المديني أيضًا أن يحيىٰ حدّثه عن شُعبة أنه قال: «كان حمّاد بن سلمة يُفيدني عن محمد بن زياد ـ يعني القرشي ـ صاحب أبي هريرة، فقلت ليحيىٰ: كان حمّاد يفيده؟ قال: فيما أعلم»[5]، وكأن ابن المديني تشكّك في صحة ذلك، واستبعد حدوثه.

---

(١) مولى بني هاشم، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وجابر وعنه عطاء ونافع، وثّقه جماعة. مترجم في: التهذيب، ٧/ ٤٠٤).

(٢) القرشي الجُمحي، أبو الحارث المدني، سكن البصرة، ومتفق على توثيقه. (التهذيب، ٩/ ١٦٩).

(٣) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١؛ طبقات الحفّاظ، ١/ ٢٠٢؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٥.

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ٧/ ٤٥١.

الفصل الثاني

حفظ حمّاد بن سلمة وموقف العلماء منه

١ ـ قدرته على حفظ الحديث وإتقانه له:

الواقع؛ أن تلك المكانة التي احتلها حمّاد بن سلمة في علم الحديث؛ تدعونا للبحث عن العناصر الأساسية التي ساهمت في وصوله إلى هذا المستوى الرفيع، بحيث أصبح موضع ثقة كبار أئمة الحديث، بل صوّرته بعض المصادر وكأنه مَعقَد آمالهم ومَلاذهم الأهم، الذي يسعون إليه ليَنهَلوا من مَعينه، ويتزوّدوا من اختصاصه في كبار الرجال مثلما كان يفعل الإمام شُعبة بن الحجاج.

ولا شك؛ أنه من أبرز العناصر التي تساعد المحدّث لبلوغ مركز الصدارة هو حفظه لأحاديثه وإتقانه لها، ولا جدال أن حمّاد ابن سلمة كان من الحفّاظ المتقنين، وقد أثنى على تمكّنه من مادته عدد كبير من المؤرخين ورجال الحديث المعاصرين له، وأول ما عثرنا عليه في هذا الصدد؛ هو ما حدّث به الساجي، فقال: «كان حافظًا ثقة مأمونًا»[1]، كما ذكره شمس الدين الذهبي

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

في تذكرة الحفّاظ، فقال: «هو الإمام الحافظ»[١]. واستهلّ ابن العماد الحنبلي الحديث عنه بعد أن منحه لقد «الحافظ»[٢].

وخير دليل على مقدرة حمّاد على الحفظ؛ هو ما ذكره أبو داود الطيالسي، فقال: «لم يكن لحمّاد بن سلمة كتاب غير كتاب قيس بن سعد ـ يعني كان يحفظ علمه ـ»[٣]، كما أكد عبد الله بن أحمد بن حنبل هذا الأمر، فحدّث عن أبيه قائلاً: «ضاع كتاب حمّاد عن قيس بن سعد، وكان يحدّثهم من حفظه»[٤].

والحديث عن حفظ حمّاد بن سلمة يحثّنا لمعرفة عدد أحاديثه التي كانْ يتقنها متنًا وإسنادًا وبالتالي يرويها في مجالسه بحضور أقرانه وطلابه.

وبالعودة إلى المصادر تبيّن لنا أن هناك اختلافًا واضحًا في هذا الشأن، فبعض المؤرخين وأصحاب الطبقات لم يتمكّنوا من تحديد عدد أحاديثه؛ بل اكتفوا بالإشارة إلى كثرتها. من هؤلاء صاحب الطبقات الكبرى، فقال: كان «حمّاد كثير الحديث»[٥]. وهذا التعميم لا يفيدنا في شيء سوى أن حمّادًا كان من الرواة

---

(١) ١/١٩٧.

(٢) أبو الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، ١/٢٦٢، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩/١٩٧٩.

(٣) ميزان الاعتدال، ١/٥٩٢؛ تذكرة الحفّاظ، ١/٢٠٣.

(٤) تهذيب ابن حجر، ٣/١٥.

(٥) ابن سعد، ٧/٢٨٢؛ التهذيب، ٣/١٥.

المُكثرين، ولكي نُحسِن مقارنته مع غيره من المحدّثين لا بد من معرفة عدد أحاديثه ولو على وجه التقريب.

الواقع؛ لقد حاول ياقوت الحموي[1] ومن بعده المؤرّخ شمس الدين الذهبي[2] أن يحسما هذا الأمر، ويُحدّدا أحاديث حمّاد، ولكنهما لم يفلحا حينما استشهدا برواية عمرو بن عاصم[3]، الذي قال: «كتبت عن حمّاد بن سلمة بضعة عشر ألفًا». ولعل هذه المقولة كانت أكثر شيوعًا، لذا ردّدها عدد من الرواة أمثال: عفان بن مسلم[4].

والحقيقة؛ أن رواية علي بن المديني هي الأقرب للواقع، فلما تحدّث عن علم يحيىٰ بن الضريس، قال: «كان عند يحيىٰ ابن الضُريس عن حمّاد بن سلمة عشرة آلاف حديث»[5]، كما أكد صحة هذه الرواية عبد الرحمن بن مهدي، وزاد فيها بعض الشيء، فقال: «كان عند يحيىٰ بن ضريس عن حمّاد بن سلمة

---

(١) معجم الأدباء، ٤/ ١٣٥.

(٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ قابل: تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٠٣.

(٣) قال ياقوت في معجم الأدباء (٤/ ١٣٥)؛ والذهبي في الميزان (١/ ٥٩١)؛ عمرو بن سلمة والصحيح ما أثبتناه لأن عمرو بن عاصم من رجال «التهذيب» وقد ترجمه الذهبي في «تذكرة الحفّاظ» (١/ ٣٩٢)؛ وذكر خبر أخذه الحديث عن حمّاد بن سلمة.

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦.

(٥) العِبَر، ١/ ٢٤٨؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٥.

عشرة آلاف حديث وعن الثوري عشرة آلاف حديث»[1].

غير أن صاحب تاريخ الثقات؛ يرفض جميع هذه المزاعم ويصرّح قائلاً: «إن عنده ألف حديث حسن ليس عنده غيره»[2] وفي اعتقادي؛ أن هذه الرواية لا تلغي الروايات السابقة، وإنما قد تكون تلك الروايات ذَكَرتْ عدد أحاديث حمّاد بشكل مطلق، أما الرواية الأخيرة فحدّدت عدد الأحاديث الصِّحاح التي يرويها عنه الثقات.

مهما يكن من أمر؛ فإن هذه القضايا مجتمعة من حيث قدرة حمّاد على الحفظ والإتقان واستمساك الذاكرة، وبالتالي أحاديثه الكثيرة التي كان يرويها بمهارة، تضعنا أمام قضية هامة، وهي البحث عن مصنفاته التي قد يكون تركها لطلاب علم الحديث.

وبالعودة إلى المصادر؛ لم نعثر على معلومات وافية تفيدنا في هذا الأمر، وكل ما في حوزتنا لا يزيد على إشارات خاطفة تفيد أنه كان يُعنَى بالتصنيف، من دون أن تتطرق تلك الإشارات إلى ذكر أسماء التصانيف التي تركها، وخير مثال على ذلك ما ذكره شمس الدين الذهبي في مؤلفاته، فقال في التذكرة: «هو أول مَن صنّف التصانيف مع ابن أبي عروبة»[3]. وقال في كتاب

(١) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١ ـ ١٤٢.
(٢) العجلي، ص ١٣١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.
(٣) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣.

دول الإسلام: هو «صاحب التصانيف»[1]، وفي العِبَر قال: «له تصانيف في الحديث»[2]، وقد ردّد ابن العماد الحنبلي[3] ما قاله الذهبي من غير أن يحاول هو الآخر أن يذكر حتى اسم مصنّف واحد[4].

أما ابن ناصر الدين وابن النديم فلم يقفا عند حدّ الإشارة إلى تصانيف حمّاد، وإنما حاولا جاهدين الكشف عن أهميتها حينًا، وذكر أسماء البعض منها حينًا آخر، فقال ابن ناصر الدين: «هو أول مَن صنّف التصانيف المرضية»[5]. وقال ابن النديم: له من الكتب «كتاب السُّنن»[6]، وهذه هي الإشارة الوحيدة التي عثرنا عليها، وهي تحدّد اسم إحدى مصنفاته[7]، التي خلفها ذخرًا للمكتبة الإسلامية. ولا ندري إذا كان هذا

(١) دول الإسلام، ص ١٠٠.
(٢) ١/ ٢٤٨.
(٣) شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢.
(٤) قال الذهبي في ميزان الاعتدال: «وله تواليف» (١/ ٥٩٢)، وقال في تذكرة الحفّاظ: «وقع لي من عواليه أحاديث» (١/ ٢٠٣)، ولا شك أن تلك الأحاديث كانت مدوّنة في مصنّف أو في جزء من مصنّف تركه حمّاد.
(٥) أحمد بن قنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ص ١٣٦، ط ٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨، هامش (٢).
(٦) كتاب الفهرست، ص ٣١٧.
(٧) لم يحدّد محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستظرفة اسم المؤلف الذي تركه حمّاد بن سلمة وإنما اكتفى بالقول: «مصنف أبي سلمة حمّاد بن سلمة. . .» ص ٤٠، ط ٣. دمشق: مط. دار الفكر، ١٣٨٣/ ١٩٦٤. وذكر أيضًا أن حمّادًا هو أول مَن صنّف بالبصرة، المرجع نفسه، ص ٨.

المصنّف موجودًا حتى الآن؛ أم أنه فُقِدَ مع ما فُقِدَ من كنوز الحضارة العربية.

والجدير بالذكر؛ أن أهمية حمّاد بن سلمة بالحديث الشريف، لم تقف عند حفظه للحديث وإتقانه له، أو في تحديد عدد الأحاديث التي رواها، أو معرفة تصانيفه التي تركها لطلاب العلم، أو في ذكر الرجال الذين تخصّص بهم، وإنما يتعدّى ذلك كله إلى تحديد موقعه في علم الرواية، وبالتالي الكشف عن لقبه العلمي الذي حازه في ذلك الاختصاص بعد جهد جهيد أمضاه في الاجتماع بشيوخه والرحلة إليهم، ومن ثَمّة عقد مجالسه وحلقاته لنشر معارفه في الكتاب العزيز وحديث الرسول (ﷺ)، وهذه الأمور مجتمعة تهدف في النهاية إلى تبيان موقف الأئمة وكبار المحدّثين من تزكيتهم له وتوثيقه، أو رفضهم إياه وتضعيفه.

الحقيقة تُقال؛ لقد أشادت المصادر الأصيلة بأهمية حمّاد في علم الحديث، الذي تدرّج فيه وترقّى في معارفه حتى استحق أن يحمل، وعن جدارة، لقب «الإمام». فهو بنظر صاحب «حلية الأولياء» من المعدودين في الإمامة[1]، بل هو «المشهور بالإمامة»[2]، كما ذكره الذهبي في معظم مؤلفاته بصفته أحد

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، ٦/٢٤٩.

(٢) عبد الرؤوف المناوي، الكواكب الدرّيّة في تراجم السادة الصوفية، باعتناء محمود حسن الربيع، ١/ ١٠١، القاهرة: مط. الأنوار، ١٣٥٧/١٩٧٨.

الأئمة الكبار، فهو: «الإمام العَلَم»[1]، و«الإمام الحافظ»[2]، وهو أيضًا: «أمامٌ ثقة»[3]، وأخيرًا، هو «الإمام القدوة»[4].

وإلى جانب الذهبي؛ فقد أشاد بإمامة حمّاد صاحب كتاب «غاية النهاية في طبقات القرّاء»، فقال فيه: هو «الإمام الكبير»[5]، كما نوّه ابن حجر العسقلاني بإمامته وعلو كعبه[6]، وذكر السيوطي؛ أن حجاج بن منهال كان يقول: «حمّاد بن سلمة من أئمة الدين»[7]، وقال أحد المشيخة: «فأما حمّاد، فإنّه أحد أئمة المسلمين»[8].

فهذه الشواهد وغيرها تؤكد على إمامة حمّاد، وعلى حُسْن تمكّنه من صناعته، وبراعته في أدائها حتى استحق هذا اللقب الرفيع المستوى، وهذه المعطيات تضعنا وجهًا لوجه أمام أهميته الفقهية التي أشارت إليها المصادر، فذكر البعض منها؛ أنه كان فقيهًا فصيحًا مفوّهًا رأسًا في السُّنّة[9]، وقد أكد أبو عمر الجَرْفي على هذه الحقيقة، فقال: «ما رأيت فقيهًا قطّ، أفصح من عبد

(١) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٠.
(٢) تذكر الحفّاظ، ١/ ١٩٧.
(٣) دول الإسلام، ص ١٠٠.
(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٤.
(٥) الجزري، ١/ ٢٥٨.
(٦) لسان الميزان، ٧/ ٢١٣.
(٧) طبقات الحفّاظ، ص ٩٤.
(٨) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.
(٩) المصدر نفسه، ٧/ ٤٤٧؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣.

الوارث[1] إلا حمّاد بن سلمة»[2].

تجدر الإشارة إلى أن أهل البصرة كانوا قد استفادوا بشكل أو بآخر من علم حمّاد، وبخاصة من علومه الفقهية، فذكر ياقوت الحموي أنه كان شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه، كما استشهد ياقوت بقولٍ لأحد المشيخة ليثبت من خلاله أن حمّادًا كان يمارس مهاراته الفقهية على أرض الواقع، فقال على لسان ابن عدي: «حمّاد إمام جليل، وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة»[3]. غير أن المصادر لم تذكر أمثلة عن القضايا التي كانت تواجهه وبالتالي كيف كان يعمد إلى حلحلتها وتشريعها، مما يساعد على تحديد قدراته وأهميته في هذا العلم.

نخلص في نهاية هذا الفصل إلى الحديث عن توثيق حمّاد وتزكيته، ويأتي في طليعة الذين وثّقوه، يحيىٰ بن معين[4]، كما

---

(١) هو عبد الوارث بن سعيد العنبري، تقدمت ترجمته في ص ٦٧ هامش (٢) في هذه الدراسة.

(٢) معجم الأدباء، ٤/ ١٣٥؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ كما ذكر ابن حجر القول نفسه ولكن بطريقة مغايرة فقال على لسان التهذيب، ٣/ ١٣؛ الجرمي: «ما رأيت فقيهًا أفصح من عبد الوارث، وكان حمّاد بن سلمة أفصح منه».

(٣) معجم الأدباء، ٤/ ١٣٦؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٤. وجاء في تهذيب ابن حجر: «حمّاد بن سلمة من أجِلّة المسلمين، وهو مفتي أهل البصرة»، (٣/ ١٥).

(٤) تذكرة الحفّاظ، ١/ ١٠٣؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦؛ التهذيب، ٣/ ١٢.

زكّاه وتكلم فيه أحمد بن حنبل(١) وأحمد العجلي(٢). فأما عن موقف ابن حنبل، فقد تحدّث محمد بن مُطَهَّر، قال: سألت أحمد بن حنبل عن حمّاد فقال: «حمّاد بن سلمة عندنا من الثقات، ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة»(٣). وأما العجلي، فقد ذكره في تاريخه وقال فيه: «ثقة، رجل صالح، حسن الحديث»(٤).

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد ذكرته كتب الطبقات والتاريخ، فوثّقه ابن سعد في طبقاته(٥)، كما وثّقه الذهبي في مؤلفاته(٦)، واعتبره علي بن المديني مرجعًا صالحًا في الحديث بل حجة لأهل زمانه فقال: «هو عندي حجة في رجال»(٧)، وقال الذهبي: «هو صدوق حجة»(٨).

ونظرًا لأهمية حمّاد، فقد كانت سيرته العلمية موضوع حديث كبار الأئمة، فحكى أبو الوليد الباجي في رجال البخاري، أن النسائي(٩) سُئِلَ عنه، فقال: «ثقة»، قال الحاكم بن مسعدة:

---

(١) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١، ٥٩٢. (٢) تاريخ الثقات، ص ١٣١.

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٨، ٤٥٣. (٤) تاريخ الثقات، ص ١٣١.

(٥) الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٢.

(٦) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٠؛ دول الإسلام، ص ١٠٠.

(٧) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦، ويقال فلان حجّة إذا كان ثقة في روايته.

(٨) المكان نفسه.

(٩) هو الحافظ أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، نسبة إلى نساء، بلدة مشهورة بخراسان، وقد ألّف كتابًا سمّاه «المجتبى»، وهو أحد الكتب =

فكلمته فيه، فقال: «ومَن يجترىء يتكلم فيه، لم يكن عند القطان[1]، لم يكن عند القطان هناك، ثم جعل النسائي يذكر الأحاديث التي انفرد بها في الصفات، كأنه خاف أن يقول الناس: تكلم في حمّاد من طريقها»[2].

٢ ـ مآخذ العلماء على حمّاد بن سلمة ودفاع بعضهم عنه:

المُلفِت للنظر؛ أنه على الرغم من تلك المكانة المرموقة التي تبوّأها حمّاد بن سلمة في ميدان علم الحديث، وتميّزه بتخصّص رفيع المستوى في بعض الرجال؛ فإن ذلك كله لم يُنْجِه من بعض المآخذ التي سجّلها عليه بعض أئمة الحديث، ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك فريق آخر شمّر للدفاع عنه، بحيث تمكّنت عناصره من إيجاد المبرّرات والحِجج لتلك الهَنّات العلمية التي سُجّلت عليه.

وأول ما نستهلّ به هذا الجانب؛ هو عرض موقف وآراء يحيىٰ بن معين وهو من كبار أئمة الحديث وأحد رجالات الجرح

= الستة، مات سنة ٣٠٣/٩١٦. (تهذيب ابن حجر، ١/٣٦ ـ ٣٩).

(١) هو يحيىٰ بن سعيد القطان، أبو سعيد الأحول البصري، من أئمة الجرح والتعديل، روى عنه: شُعبة، وابن مهدي، وأحمد، وابن المديني، وثّقه العجلي وقال: كان نقي الحديث لا يحدّث إلا عن ثقة، توفي سنة ١٩٨/ ٨١٣. (تاريخ الثقات، ص ٤٧٢؛ تذكرة الحفّاظ، ١/٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(٢) تهذيب ابن حجر، ٣/١٥ ـ ١٦.

والتعديل، فقد صرّح على مسؤوليته؛ إن حديث حمّاد بن سلمة لم يتغير، فقال: «حديثه في أول أمره وآخره واحد»[1]، وقال: «كان حمّاد رجل صدق، ومات يحيىٰ بن سعيد ـ يعني القطان ـ وهو يحدّث عنه»[2]. وفي موقف آخر عاد مستدركًا ليقول: «مَن سمع من حمّاد بن سلمة الأصناف؛ ففيها اختلاف، ومَن سمع منه نسخًا فهو صحيح»[3]، وربما لهذا السبب فإن معظم ما أخذه عنه ابن معين كان إملاءً، ما عدا بعض الأحاديث التي كان يسأله عنها وهو في السوق، فكان يتحفّظها عنه[4].

ومن المآخذ التي سُجّلت على حمّاد أيضًا؛ ما ذُكر في سوء حفظه، وفي روايته، بخاصة لمّا طعن في السن، قال أبو عبد الله الحاكم: «قد قيل في سوء حفظ حمّاد بن سلمة، وجمعه بين جماعة في الإسناد بلفظ واحد، ولم يُخَرِّج له مسلم في الأصول إلا من حديثه عن ثابت»[5]، وقد خَرَّجَ له في الشواهد عن طائفة[6].

ولقد انبرى الإمام أحمد بن حنبل للدفاع عنه؛ فبرّر سوء حفظه، وبيّن موقف أصحاب السُّنن منه، فقال: «إذا رأيت مَن يغمزه[7]، فاتهمه، فإنه كان شديدًا على أهل البدع، إلا أنه لمّا طعن في السن، ساء حفظه، فلذلك لم يحتجّ به

---

(1) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧.
(2) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ٢٤٢.
(3) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٢.
(4) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.
(5) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧.
(6) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٤.
(7) يغمزه: أي يعيبه ويطعن فيه، لسان العرب (مادة غمز).

البخاري[١]. وأما مسلم[٢]، فاجتهد فيه، وأخرج من حديثه عن ثابت، مما سمع منه قبل تغيُّره، وأما عن غير ثابت، فأخرج نحو اثني عشر حديثًا في الشواهد، دون الاحتجاج، فالاحتياط أن لا يُحتجّ به فيما يُخالف الثقات، وهذا الحديث من جملتها»[٣].

أما ابن حبّان البستي؛ فكان متحمّسًا أثناء دفاعه عن حمّاد، فهاجم الذين جانبوا حديثه ولم يحتجّوا به؛ لأنه في نظره من أهل العلم والورع، فضلاً عن كونه من الثقات. فقال في بعض دِفاعاته عنه: «ولم يُنصِف مَن جانَبَ حديثه، واحتجّ في كتابه بأبي بكر بن عيّاش فإن كان تركه إياه لِما كان يخطىء فغيره من أقرانه مثل الثوري وشُعبة كانوا يخطئون[٤]، فإن زعم أن خطأه قد

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله البخاري. الإمام الحافظ الثَّبت، كتب عن أكثر من ألف شيخ، وحفظ مئة ألف حديث صحيح، وهو صاحب كتاب «الجامع الصحيح» وله أيضًا كتاب التاريخ الكبير والأوسط والصغير، والكُنى، والضعفاء، وغيرها. توفي سنة ٢٥٦/ ٨٧٠. مترجم في: (تذكرة الحفّاظ، ٢/ ٥٥٤؛ تهذيب ابن حجر؛ ٩/ ٤٧ ـ ٥٥).

(٢) هو مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القُشيري، إمام أهل الحديث، له من الكتب «الصحيح المشهور، والعِلل وأوهام المحدّثين، وطبقات التابعين، والمسند الكبير، والجامع الكبير وغيرها». توفي بنيسابور سنة ٢٦١/ ٨٧٤ عن خمس وخمسين سنة. مترجم في: (تذكرة الحفّاظ ٢/ ٥٨٨،؛ تهذيب ابن حجر، ١٠/ ١٢٦).

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.

(٤) عن خطأ الثوري وشُعبة؛ انظر: سفيان الثوري، ص ٨٣؛ شُعبة بن الحجاج، ص ٩٨. انظر أيضًا: السيوطي، أسماء المدلسين، تحقيق=

كَثُر حتى تغيّر حفظه، فقد كان ذلك في أبي بكر بن عيّاش موجودًا، ولم يكن من أقران حمّاد بن سلمة بالبصرة مثله في الفضل والدين والنُّسْك والعلم والكتب والجمع والصلابة في السُّنّة والقمع لأهل البدع»[1].

وفي موقف آخر؛ أبدى ابن حبّان استغرابة من ترك البخاري لحديث حمّاد، والاحتجاج بحديث مَن هم دونه في الرواية: كابن أخي الزهري[2] وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار[3] وفليح بن سليمان[4]، ثم أضاف قائلاً عن البخاري: وقيل: «إنه روى له حديثًا واحدًا عن أبي الوليد عنه عن ثابت»[5]، وذكر الذهبي: أن الحديث أخرجه البخاري في الرقاق[6]. وأضاف ابن حجر العسقلاني قائلاً: «الحديث المذكور في مسند أُبيّ بن كعب[7] من رواية ثابت عن أنس عنه، وقد

= محمود نصار، ٥١، ط ١، بيروت: دار الجبل، ١٤١٢/١٩٩٢.

(١) الثقات، ٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٣.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن مسلم، التهذيب، ١٢/ ٣١٨.

(٣) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧، وعبد الرحمن بن دينار بحسب رأي ابن معين «في حديثه ضعف» وقد حدّث عنه يحيىٰ القطان، وقال أبو حاتم الرازي: فيه لين». الجرح والتعديل، ٥/ ٢٥٤.

(٤) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٤، وفليح، مدني خزاعي، قال ابن معين: «ليس بالقوي ولا يُحتَج بحديثه»، الجرح والتعديل، ٧/ ٨٤.

(٥) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٣.

(٦) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦.

(٧) هو أُبيّ بن كعب بن قيس، أبو المنذر، سيّد القرّاء. (تهذيب ابن حجر، =

ذكره المزّي في الأطراف ولفظه، قال لنا أبو الوليد: فذكره»[1].

وذكر ابن حجر؛ أن أبا الفضل بن طاهر كان قد تحمّس لقضية حمّاد، فقال: «حمّاد بن سلمة إمام كبير مدحه الأئمة وأطنبوا لمّا تكلم بعض مُنتَحِلي بالمعرفة أن بعض الكَذَبَة أدخل في حديثه ما ليس منه، لم يخرج عنه البخاري معتمدًا عليه بل استشهد به في مواضع ليبيّن أنه ثقة، وأخرج أحاديثه التي يرويها من حديث أقرانه، كشُعبة وحمّاد بن زيد وأبي عوانة[2] وغيرهم، ومسلم اعتمد عليه لأنه رأى جماعة من أصحابه القدماء والمتأخرين لم يختلفوا، وشاهد مسلم منهم جماعة وأخذ عنهم، ثم عدالة الرجل في نفسه، وإجماع أئمة أهل النقل على ثقته وأمانته»[3].

وقد عرض البيهقي لهذه القضية ولخّص موقفه بقوله: «هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه...»[4]. أما ابن سعد فيجده من أصحاب المناكير، فقال: «ربما حدّث بالحديث المنكر»[5].

= ١١/ ١٨٧).

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٣.

(٢) هو الوضّاح بن عبد الله الواسطي البزاز، أبو عوانة اليشكري، متفق على توثيقه، أخرج له الجماعة، له ترجمة في: (تهذيب ابن حجر، ١١/ ١١٦ - ١٢٠).

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ١٤.

(٤) المكان نفسه، ٣/ ١٤.

(٥) الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٢.

ولعل علاقة حمّاد بن سلمة بالأحاديث المنكرة كانت موضوع جدال بين أئمة الحديث، فزعم محمد بن شجاع البلخي أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، قال: كانْ حمّاد بن سلمة لا يُعرَف بهذه الأحاديث التي في الصفات، حتى خرج مرة إلى عَبّادان[1]، فجاء وهو يرويها، فسمعت عبّاد بن صهيب[2] يقول: إن حمّادًا كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنها دُسّت في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العوجاء[3] كان ربيبه فكان يدسّ في كتبه»[4].

وقد علّق ابن حجر العسقلاني على هذه الرواية بقوله: «قرأت بخط الذهبي أن البلخي ليس بمصدّق على حمّاد وأمثاله، وقد اتُّهم»[5].

وإذا صحّ قول الذهبي، وهو رجل ثقة، ومن المؤرخين الذائِعي الصّيت، تصبح رواية البلخي ملغاة من أساسها. خصوصًا وأن ابن حجر زكّى موقف الذهبي وقال: «وعبّاد - بن صهيب - أيضًا ليس بشيء، وقد قال أبو داود: لم يكن لحمّاد بن سلمة

---

(١) عبادان: تقع جنوب البصرة وبالقرب من البحر، فيها مشاهد ورباطات منها: مشهد لعلي بن أبي طالب (ع)، وفيها قوم منقطعون عليهم وقف، وينسب إليها نفر من رواة الحديث والزهّاد. (معجم البلدان، ٥/ ٨٣).

(٢) بصري، ضعيف الحديث، قال أبو حاتم: «منكر الحديث، متروك». (الجرح والتعديل، ٦/ ٨١).

(٣) لم أعثر على ترجمة له.

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٣؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

(٥) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٣.

كتاب غير كتاب قيس بن سعد، يعني كان يحفظ علمه»[1].

وفي خِضَم تلك المواقف والمُفارقات انبرى عبد الله بن أحمد بن حنبل ليزيد في تزكية حمّاد بن سلمة وتوثيقه، ويدفع عنه تلك التُّهم والتُّرّهات التي نُسِبَت إليه، فحدّث عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: «ضاع كتاب حمّاد عن قيس بن سعد، وكان يحدّثهم من حفظه»[2]. وأورد له ابن عديّ في الكامل[3] عدّة أحاديث مما ينفرد به متنًا وإسنادًا، قال: «وحمّاد من أجِلّة المسلمين وهو مفتي البصرة وقد حدّث عنه مَن هو أكبر منه سِنًّا وله أحاديث كثيرة وأصناف كثيرة ومشائخ»[4]. وقد وضعه أبو الوليد في المرتبة التي يستحقها فقال: «إن حديث حمّاد لم ينحطّ عن رتبة الحسن »[5].

ولعل هذه القضية ظلّت شغل العلماء الشاغل؛ من هنا كان لكلٍّ من أئمة الحديث رأيه وموقفه الخاص منها، وحتى بعد أن مضى على وفاة حمّاد عدة قرون؛ جاء المؤرّخ شمس الدين الذهبي في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلادي، ليُدلي

---

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

(٢) المكان نفسه، ٣/ ١٥.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال. وابن عدي؛ هو الإمام الحافظ أبو أحمد، عبد الله بن عديّ، توفي سنة ٣٦٥/ ٩٧٦، عن سيرته؛ انظر: أعلام النبلاء، ١٦/ ١٥٤.

(٤) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

(٥) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦.

برأيه ويُنصف حمّاد بما له وما عليه، فقال: «كانت له أوهام وغرائب، وغيره أثبت منه»[1]. ثم عاد ليزكّيه بعد أن وجد له مبرّراته، فقال: «كان بحرًا من بحور العلم، وله أوهام من سِعَة ما روى، وهو صدوق حجّة إنشاء الله...»[2].

استنادًا إلى تلك المُعطيات يصبح الموقف المبدئي من حمّاد بن سلمة كما قال فيه علي بن المديني: «مَن تكلم في حمّاد بن سلمة فاتّهموه في الدين»[3]، لأنه كان بشهادة الساجي، وابن سعد، والعجلي، والنسائي، والذهبي: رجل ثقة. ولكن لكل جواد كبوة، وكبوة حمّاد حصلت بعد أن اهتزّت ذاكرته وتشوّش تفكيره وذلك بداعي الكَبَر والهَرَم وهذا شيء طبيعي لا جدال فيه.

---

(١) المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين عتر، ص ١٨٩، (د.ن، د.ت)؛ قابل: ميزان الاعتدال، ١٠/ ٥٩٠.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦.

(٣) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

الفصل الثالث

آخر نشاطات حمّاد بن سلمة، ونهايته

١ ـ نشاطه الديني والسياسي:

أ ـ نشاطه الديني:

ـ عبادته وتقواه:

الثابت استنادًا إلى المصادر الأصيلة؛ أن حمّاد بن سلمة كان من العبّاد المخلصين في عبادتهم؛ الصادقين في تعاملهم مع الله عز وجل، وكذلك مع أنفسهم وأبناء مجتمعهم، وبشهادة ابن حبّان هو: «من عبّاد أهل البصرة ومُتقِنِيهم، ممّن لزم العبادة والعلم والورع، ونصرة السُّنّة والطّبق على البدع»[(١)]، كما ذكره أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، فقال: «ومنهم ـ أي الأولياء ـ المجتهد في العبادة، حمّاد بن سلمة، كان لخطير الأعمال مصطنعاً، وبيسير الأقوات مقتنعًا»[(٢)]، وقال الذهبي[(٣)]

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧.

(٢) ٦/ ٢٤٩.

(٣) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١.

مردّدًا ما سبق وذكره ابن حبّان[1]: «كان من العبّاد المُجابي الدعوة». وهذه من كرامات الأولياء التي لا يمنّ بها الله عز وجل إلاّ على عباده الصالحين الصادقين في إيمانهم وتقواهم.

وهكذا؛ اكتفت المصادر بذكر الخِصال الحميدة التي تُظهِر الصفات الإيمانية التي كان يتحلّى بها حمّاد، من دون أن تتطرّق إلى جوهر القضايا التي تفيدنا في دراستنا، وأعني بذلك؛ الانتقال من المواقف المبدئية إلى المواقف العملية، أو التطبيقية والممارسة الفعلية، التي تبيّن عن كثب جوهر الإيمان الحق، الذي سبق ولمسناه في سيرة الثوري[2]، وشُعبة[3]، وداود الطائي[4]، والفُضيل بن عِياض[5].

ولعل المصادر تركت عمدًا الخوض في تلك الأمور؛ لأنه كان يقوم بواجباته الدينية كأيّ مسلم محافظ على ممارسة الشعائر الدينية، فلم يكن فيها ما يلفت نظر مُعاصريه، أو يستدعي تناقل أخبارها بين فئات المجتمع، وقد ينطبق هذا الرأي على سائر

---

(١) الثقات، ٦/٢١٦؛ كما نقل عنه الذهبي في أعلام النبلاء، ٧/٤٤٩؛ والمناوي في الكواكب، ١/١٠١.

(٢) انظر: سفيان بن سعيد الثوري، ص ٩٧ وما بعدها.

(٣) انظر: شُعبة بن الحجاج الأزدي، ص ١٥٤ وما بعدها.

(٤) راجع كتابنا، داود بن نصير الطائي، الفقيه الزاهد، ص ٦٤ وما بعدها، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤/١٩٩٤.

(٥) راجع كتابنا، الفُضَيل بن عياض التميمي، ص ٨٤ وما بعدها، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥/١٩٩٥.

الأمور التي بها صلة بعبادة حمّاد؛ من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فضلاً عن عنايته بالقرآن الكريم والقيام بأعمال الخير، الأمر الذي يعزّز مكانته الدينية والاجتماعية.

أما الأقوال التي أشارت إلى حبّ حمّاد لأعمال الخير ومواظبته على قراءة القرآن والإخلاص لله؛ فتتلخص بأقوال وتصريحات المقرّبين إليه، قال عفان بن مسلم: «قد رأيت مَن هو أعبد من حمّاد بن سلمة، ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله، منه»[1]. وقال عبد الرحمن ابن مهدي: «لو قيل لحمّاد بن سلمة أنك تموت غدًا، ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا»[2] وقد علّق الذهبي على ذلك بقوله: «لقد كانت أوقاته معمورة بالتعبّد والأوراد»[3].

ولقد أعطى موسى بن إسماعيل التبوذكي صورة واقعية عن

---

(١) الحلية، ٦/ ٢٥٠؛ تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٠٣؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧؛ التهذيب، ٣/ ١٣.

(٢) صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٣؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ العِبَر، ١/ ٢٤٨؛ طبقات الحفّاظ، ص ٩٤؛ شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢. وهذا مأخوذ من قول علي بن أبي طالب (ع): «اعمل لدُنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا».

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧. والأوراد: مفردها وِرد بالكسر وهي الجُزء من القرآن، ويقال قرأتُ وردي. (الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق لجنة من العلماء، ص ٧١٦، بيروت: دار الفكر=

الحياة اليومية لحمّاد بن سلمة، الذي أحسن تقسيم أوقاته بحيث يتسنى له الاستفادة من جميع فتراتها، كما أعطى فكرة عن حالته النفسية التي كانت مسيطرة عليه من جرّاء انشغاله بالعبادة، فقال لجمهرة من جلسائه كانوا يتناظرون في سيرة حمّاد: «لو قلت لكم: إني ما رأيت حمّاد بن سلمة ضاحكًا لصدقت، كان مشغولاً بنفسه، إما أن يحدّث، أو يقرأ، أو يسبّح، أو يصلي، قد قسم النهار على ذلك»[1].

ومن شدة حب حمّاد للصلاة، وإخلاصه فيها، فقد مات وهو خاشع بين يدي الجليل، قال يونس بن محمد: «مات حمّاد ابن سلمة في المسجد وهو يصلي»[2]، وبيَّنَ أحمد بن عبد الله العجلي مدى شغف حمّاد بالقرآن الكريم وإقباله عليه بقلب سليم، فقال: «كان حمّاد بن سلمة لا يحدِّثُ حتى يقرأ مائة آية نَظَرًا في المصحف»[3] إلى جانب ذلك؛ كان يروي عن ثابت، عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله: «اقْرءُوا القرآن، فإن الله يَأْجُرُكُم على تلاوته»[4]. كما روى في تفسير الآيات بسنده عن

= ١٤٠١/١٩٨١.

(١) أعلام النبلاء، ٧/٤٤٧ ـ ٤٤٨. انظر أيضًا: الحلية، ٦/٢٥٠؛ صفة الصفوة، ٣/٢٤٤؛ ميزان الاعتدال، ١/٥٩١؛ العِبَر، ١/٢٤٩؛ شذرات الذهب، ١/٢٦٢.

(٢) الحلية، ٦/٢٥٠.

(٣) تاريخ الثقات، ص ١٣١؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٤٨.

(٤) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/١٠٩، والحديث أخرجه الدارمي في السُّنن، ٢/٤٢٩؛ والدارقطني في علل الحديث، ٢/٣٠.

ابن أبي ليلى، عن صُهيب مرفوعًا: ﴿للذين أحسنوا الحُسنى وزِيادة﴾[1] قال: هي النظر إلى وجه الله[2].

ومن شدة حب حمّاد لله عز وجل؛ كان يجد أن كل عمل لابن آدم يجب أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، لكي ينال بركته، وحتى علم الحديث بما فيه من سماع وحفظ ورواية فهو لله أيضًا، وإذا كانت النيّة غير ذلك، فقد يتحوّل الحديث إلى لعنة تنال صاحبه فتورثه الحسرة والندامة[3].

إلى جانب ذلك؛ عرف حمّاد بحُسن ظنه بالله، وتسليمه زمام أمره له عز وجل، لأنه أرحم الراحمين وهو المُرتجى وعليه المعوّل. وقد أفصح عن رأيه خلال اجتماعه بسيّد الحفّاظ سفيان الثوري، قال محمد بن إسماعيل البخاري: سمعت بعض أصحابنا يقول: «عادَ حمّادُ بن سَلمة سُفيانَ الثَّوري، فقال سُفيان: يا أبا سلمة! أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حمّاد: والله لو خُيِّرت بين محاسبة الله إيّاي، وبينَ محاسبة أبويّ، لاخترتُ محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحَمُ بي من أبويّ»[4].

ونظرًا لحُسْن ظنه بالله أيضًا، واعتصامه بحبله؛ فقد أصبح

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٣.

(٣) الحلية، ٦/ ٢٥١؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٤.

(٤) الحلية، المكان نفسه؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٩.

مُكرّمًا ومقرّبًا إلى الخالق، وغدا صاحب دعوة مُستجابة[1]، بل أصبح يُعَدّ من الأبدال[2].

أما بالنسبة لموقف حمّاد من أهل البدع، فقد اكتفت المصادر بذكر إشارات تشيد بموقفه المتصلّب تجاههم، لأنهم في نظره يعملون على ثَلْم عُرى الإسلام، وذلك لتأويلهم جوهر الدين بما يتوافق مع أهوائهم وعقائدهم الشخصية، وبالتالي يفلسفونه بما يخدم أنانيتهم ومصالحهم الذاتية.

والجدير بالملاحظة؛ أن حمّادًا لم يكن مجرد محدّث هامشي، أو عابد مُنكَمش على نفسه، فلا يكترث لما يحدث في مجتمعه، أو غير آبه بأمور الدين والدنيا ما دام يؤدي واجباته الدينية، وإنما على العكس من ذلك كله، فقد كان متحمسًا لمواكبة المستجدّات على الساحة الإسلامية؛ بدليل حماسه الشديد لمناهضة أهل البدع، ومكافحة فسادهم المستشري بين الناس كالمرض العُضَال، لذا؛ عيّن نفسه طبيبًا لمعالجة الدّاء، بل نَصّبَ نفسه محتسبًا بأمر من الله، واشتد في ملاحقة المبتدعة حتى عُرِفَ «بالطبق عليهم»[3]. لهذا قال فيه

(١) أعلام النبلاء، ٧/٤٤٩، ٤٥١.

(٢) التهذيب، ٣/١٣، طبقات الحفّاظ، ص ٩٤ ـ ٩٥. والأبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر. (مختار الصحاح، ص ٤٤).

(٣) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧.

الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيت مَن يغمزه فاتهمه، فإنه كان شديدًا على أهل البِدَع»[1]. وقال ابن حبّان البستي: «لم يكن يثلبه إلا معتزلي[2]، أو جَهْمي[3]، لما كان يظهره من السُّنن الصحيحة»[4].

والحديث عن عبادة حمّاد بن سلمة وتقواه ومحاربته أهل البدع تدعونا للبحث عن مذهبه الذي كان يعتنقه ويبذل في سبيله الغالي والنفيس ليبقى نقيًا، وبعيدًا عن الأباطيل والبدع الشائعة في عصره.

وبالعودة إلى المصادر؛ لم نقع سوى على إشارتين خاطفتين لعلهما تَفِيان بالغرض، فالأولى منهما؛ وقد جاءت على لسان هُدبة بن خالد، فقال: «صلّيتُ على شُعبة[5]، فقيل: أرأيته؟ فغضب وقال: رأيت حمّاد بن سلمة وهو خيرٌ منه، كان

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٢.

(٢) نسبة إلى المعتزلة وزعيمهم عمرو بن عبيد الذي كان في أول عهده يُجالس الحسن البصري، واشتهر بصحبته حتى أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السُّنّة، وقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث، والقدرية: هم قوم يجحدون بالقدر. (أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ البداية والنهاية في التاريخ، ١٠/ ٧٩، بيروت: مكتبة المعارف ١٤٠١/ ١٩٨١؛ لسان العرب «مادة قدر»).

(٣) نسبة إلى الجهمية الذين يقولون: «القرآن مخلوق». (أحمد بن حنبل، كتاب الورع، ص ٥٦، د.ن، د.ت).

(٤) الثقات، ٦/ ٢١٧؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠.

(٥) عن عقيدة شُعبة بن الحجاج الأزدي، انظر الإمام شُعبة، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

سُنيًا، وكان شُعبة رأيه رأي الكوفيين»[1].

وعلى ما في هذا الرأي من تعصّب لحمّاد بن سلمة، ولمذهب أهل السُّنّة فأجد فيه تحاملاً واضحًا ضدّ الكوفيين ولمذهبهم ومبادئهم، غير أننا لا ننكر بأنه كشف النقاب عن هوية حمّاد المذهبية.

أما بالنسبة للإشارة الثانية التي عثرنا عليها في المصادر؛ فقد أفادتنا في أنه نظرًا للدور الريادي الذي كان يشغله حمّاد بن سلمة في البصرة، من حيث إمامته في الحديث، وتضلّعه في الأمور الفقهية، فقد كان صاحب سُنّة خاصّة به وبآرائه الفقهية النابعة من جوهر الدين الإسلامي، فذكر شمس الدين الذهبي[2]، ومن بعده ابن العماد الحنبلي[3]، أن حمّادًا كان «صاحب سُنّة»، وبطبيعة الحال؛ فقد وصل حمّاد إلى هذا المستوى الرفيع بفضل تعمّقه في علومه ومعارفه، وأيضًا؛ بفضل اجتهاداته وتفوقه في الفقه الإسلامي الذي لا يحيط به وبغوامضه إلا المتبحّرين في قضايا الدين.

ـ زهده وورعه:

إن العبادة في شُرعَة حمّاد بن سلمة تعني الزهد في مباهج الدنيا والقناعة والاكتفاء بالقليل مما يحتاجه المرء في حياته

---

(١) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٣.

(٢) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣؛ العِبَر، ١/ ٢٦٢.

(٣) شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢.

اليومية، وأيضًا؛ أن يقتصر عمله اليومي على أن يربح ما يؤمّن له قوته وأهم حاجياته، لأنه لا يفكر في ادّخار الأموال، وبالمقابل؛ فهو لا يرضى أن يكون عالة على أحد، فيقع في منزلق الاستجداء المُذِلّ، فيعتزل في بيته منتظرًا هِبات المحسنين وصدقاتهم، وإنما نزل إلى معترك الحياة الشريفة، ليؤمّن المال الحلال أُسوة بالصحابة والسّلَف الصالح[1]، بعدئذ تفرّغ للعبادة وراح ينشر حديث رسول الله (ﷺ).

وقد أكّد هذه السِّيرة؛ أحد المقرّبين لحمّاد بن سلمة، فذكر سوار بن عبد الله عن أبيه وهو شاهد عيان، قال: «كنت آتي حمّاد بن سلمة في سوقه، فإذا ربح في ثوب حبّة أو حبّتين[2]، شدّ جونته[3]، فلم يبع شيئًا، فكنت أظنُّ أن ذلك بقوته، فإذا وجد قوته لم يزد عليه شيئًا»[4].

ولدينا رواية أخرى تُظهِر مدى قناعة حمّاد الذي لم تبدّله

---

(١) عن عمل الفقهاء والمحدّثين. انظر كتابنا: الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك، ص ٧٧ وما بعدها، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١/ ١٩٩٠.

(٢) الحَبَّة: مقدار وزن الشعيرتين، سدس عُشر الدينار.

(٣) الجونة: سُلَيْلَة مستديرة مُغشاة بالجلد، يحفظ العطّار فيها الطيب. (مختار الصحاح، ص ١١٨).

(٤) الحلية، ٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١؛ صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٢. انظر أيضًا: أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٨؛ العِبَر، ١/ ٢٤٨؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ شذرات الذهب، ١/ ٦٢.

الأيام مهما كانت المُغريات المادية، لأن ما يقوم به صادر عن إيمان راسخ وعقيدة متأصّلة في ذاته. قيل: إنه «كان يدخل السوق فيربح دانقين[1] في ثوب واحد، فيرجع، فإذا ربح، لو عرض له ديناران ما عَرضَ لهما»[2]، وإنما كان يغلق حانوته وينصرف إلى بيته ليشغل نفسه بالعبادة.

والمُلاحَظ؛ أن الروايات التي تحدّثت عن عمل حمّاد قد اختلفت في تسمية التجارة التي كان يمارسها في حانوته، فمنها ما ذكرت أنه كان بزّازًا أو خزازًا[3]، وقال رواية أخرى إنه كان يبيع الخُمُر[4]، وقيل أيضًا؛ إنه كان بطائنيًا[5]، بكل حال؛ فإنني أجد أن جميع الروايات تؤدي الغرض نفسه، فهي تتفق على أنه كان يتاجر بالثياب بمختلف أنواعها.

ومن المؤسف؛ فإن المصادر التي بين أيدينا لم تتحدّث عن زهد حمّاد بالمأكل والمشرب والملبس والبناء والأثاث أو في مظهره الخارجي، في حين كانت وفيّة لسفيان الثوري وشُعبة بن

---

(١) الدانق: سدس الدرهم (مختار الصحاح، ص ٢١٢).
(٢) الحلية، ٦/ ٢٥١.
(٣) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ عن البزاز والخزاز؛ انظر: مستهل الفصل الأول من هذه الدراسة، ص ٤٥ هامش (٢).
(٤) الحلية، ٦/ ٢٥٠، والخُمُر: ج خِمَار، وهو ما تغطي به المرأة وجهها. (لسان العرب، مادة خمر.
(٥) العِبَر، ١/ ٢٤٨، والبطائني: هو بائع البطائن التي تستعمل في تبطين الثياب. (مختار الصحاح، ص ٥٧).

الحجاج وداود الطائي[1]. ويكفينا دلالة على زهده أنه لم تزد مقتنيات منزله عن حصير، ومصحف، وجراب، ومَطْهَرة[2].

أما بالنسبة لموقفه[3] من الزواج؛ فيبدو أنه كان مُقبِلاً عليه بكلّيّته، لأنه لا رهبنة في الإسلام، فكان موقفه منسجمًا مع موقف الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين، وكذلك مع شيوخه وأقرانه، غير أنني أجد في المصادر مبالغة، بخاصة عند ذكرها عدد النساء اللاتي تزوج بهنّ، فقد صوّرته بأنه كان مزواجًا، فذكرت أنه تزوج سبعين امرأة، وعلى الرغم من ذلك؛ فلم يكن له ولد يحمل اسمه أو يرث علمه[4]. وقد برّرت المصادر هذه الظاهرة بأنها من أهم الدلالات على هوية «الأبدال». لأنه من «علامة الأبدال أن لا يولد لهم»[5]، مهما بلغ عدد زوجاتهم!.

وإذا ما تركنا زهد حمّاد جانبًا، وتناولنا موضوع ورعه[6]،

---

(١) انظر: الثوري، ص ١٠٤ وما بعدها؛ شُعبة، ص ١٥٨ وما بعدها، الطائي، ص ٧٦ وما بعدها.
(٢) صفة الصفوة، ٣/٢٤٣.
(٣) قارن بين موقف حمّاد من الزواج وموقف: الثوري، ص ١١١، وداود الطائي، ص ٨٥، وسفيان بن عُيينة الهلالي، محدّث الحرم المكّي، ص ١٥٦ ـ ١٥٨، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.
(٤) تذكرة الحفّاظ، ١/٢٠٣؛ ميزان الاعتدال، ١/٥٩١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/١٣.
(٥) التهذيب، ٣/١٣.
(٦) عن ورع الفقهاء، انظر: عبد الله بن المبارك، ص ٨٣ وما بعدها؛ وداود الطائي، ص ٨٧ وما بعدها.

فلا نجد له أقوالاً تُظهِر موقفه من هذا الأمر، كما أننا لم نعثر سوى على رواية واحدة تبيّن تورّعه في هدايا الأصحاب.

حدّث محمد بن الحجاج، فقال: «كان رجل يسمع معنا عند حمّاد بن سلمة فركب إلى الصين، فلما رجع أهدى إلى حمّاد هدية، فقال له حمّاد: إن قبلتُها لم أحدّثك بحديث، وإن لم أقبلها، حدّثتك. قال: لا تقبلها وحدّثني»[1].

فلعل ابن سلمة رفض أخذ الهدية خشية أن يميل بقلبه إلى صاحبها فيتهاون معه في حديث رسول الله (ﷺ)، لأن الحفاظ على جوهر الحديث أمانة في عنقه، وهو مسؤول عن أمانته أمام الله عز وجل.

من خلال هذا العرض المتواضع؛ يتبيّن لنا: أن حمّاد بن سلمة كان ولا ريب، من السلف الصالح، فحافظ على أصالة الدين بحمايته من الدخلاء وأهل البدع، كما كان أُنموذجًا في ممارسة العبادات بهدوء ورَوِيّة، وفوق ذلك، فقد كان زاهدًا عاملاً يكسب قوته بمكابدة الحياة من دون أن تستهويه المادة أو يكون أسير الدنيا والدرهم. غير أنه كان مُكثِرًا من النساء ولم ندرِ ما السرّ في ذلك، في حين رشّحه هذا الأمر لأن يكون أحد الرجال الصالحين المعدودين في زمانهم.

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٩؛ قابل: الحلية، ٦/ ٢٥١؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١.

ب ـ مواقفه السياسية:

الثابت لدينا؛ أنه كان للفقهاء والمحدّثين مواقف متضاربة من مخالطة رجال الحكم، وقد كانت هذه المسألة موضوع خلاف دائم بين العلماء، فمنهم مَن أيّد الدخول على الحكّام ومخالطتهم وأخذ عطاياهم[(١)]، في حين نجد فريقًا آخر نادى بمقاطعتهم، كما رفض أخذ هِباتهم وهداياهم[(٢)]، وكان الإمام حمّاد بن سلمة من بين عناصر الفريق الثاني، والمؤسف حقًّا؛ أن المصادر لم تمدّنا بتفاصيل تلك المواقف الرائدة، وإنما اكتفت بذكر أقواله ونصائحه في هذه القضية، وعلى كل حال؛ إن هذه المواقف التي أعلنها حمّاد كانت دليلاً واضحًا على سياسته الرافضة، وبشكل جازم، لمبدأ التعامل مع الحكّام.

فعن نصائحه ودعوته لمقاطعة الأمراء تحدّث موسى بن إسماعيل التبوذكي، قال: «سمعت حمّاد بنَ سلمة يقول لرجل: إنْ دعاك الأمير أن تقرأ عليه: ﴿قل هُوَ اللَّهُ أحد﴾[(٣)]. فلا تأته»[(٤)].

---

(١) انظر: شُعبة بن الحجاج، ص ١٦٨ وما بعدها؛ سفيان بن عيينة، ص ١٨٦ وما بعدها.

(٢) انظر: سفيان الثوري، ص ١٨٦ وما بعدها؛ وداود الطائي، ص ١٠٤ وما بعدها؛ عبد الله بن المبارك، ص ١٠٧ وما بعدها.

(٣) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٤) الحلية، ٦/ ٢٥١؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٨؛ طبقات الحفّاظ، ص ٩٥.

وأما بالنسبة لعلاقته المباشرة مع الحكام، فتظهر بوضوح من خلال ما حدّث به آدم بن إياس، فقال: «شهدتُ حمّاد بن سلمة، ودَعَوْه - يعني الحكّام - فقال: أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟ لا والله لا فعلت»[1].

وتظهر جرأة حمّاد بن سلمة وشجاعته الأدبية؛ من خلال موقفه الصلب إزاء أمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي[2]، الذي طلب إليه المثول في حضرته، فما كان من حمّاد إلا أن رفض ذلك بإصرار، مما اضطر محمد الهاشمي للقدوم على حمّاد ضاربًا بذلك المثل بتواضع الأمراء، وهذا الأمر يتوافق مع قول الإمام علي بن أبي طالب (ع) إذ قال: «إذا رأيت العلماء على أبواب الأمراء، فبئس العلماء وبئس الأمراء، وإذا رأيت الأمراء على أبواب العلماء فنِعمَ الأمراء ونِعمَ العلماء».

قال مقاتل بن صالح الخراساني: «دخلت على حمّاد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير، وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه، وجراب فيه علمه، ومطهرة يتوضأ منها، فبينما أنا عنده جالس إذ دَقّ داقٌّ الباب، فقال: يا صبية! اخرجي فانظري مَن هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده». فدخل فناوله كتابًا فإذا فيه: «بسم الله الرحمن

(١) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥١.

(٢) هو محمد بن سليمان بن علي ابن عمّ بالمنصور، توفي سنة ١٧٣/ ٧٨٩ وله إحدى وخمسون سنة، وكان الخليفة هارون الرشيد يبالغ في تعظيمه وإكرامه (شذرات الذهب، ١/ ٢٨٢).

الرحيم من محمد بن سليمان إلى حمّاد بن سلمة. أما بعد فصبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته. وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها والسلام».

قال: يا صبية! هلمّي الدّواة. ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب: «أما بعد، وأنت فصبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته، إنّا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا، فإن كانت وقعت مسألة فأتنا واسألنا عمّا بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلاّ وحدك ولا تأتني بخيلك ورَجِلك فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي والسلام».

قال مقاتل بن صالح: فيما أنا عنده دَقّ داقٌّ الباب، فقال: يا صبية! اخرجي فانظري مَن هذا؟ فقالت: محمد بن سليمان. قال: قولي له ليدخل وحده، فدخل فسلّم ثم جلس بين يديه فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأتُ رُعبًا؟ فقال حمّاد: سمعت ثابتًا البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هابَ مِنْ كل شيء».

فقال؛ «أربعون ألف درهم تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه، فقال: اردُدْها على مَن ظلمْتَه بها. قال: والله ما أعطيتك إلا ما ورثتُه، قال: لا حاجة لي فيها ازْوها عني زَوى الله عنك أوزارك، قال: فتقسمها. قال: فلعلّي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض مَن لم يُرزَق منها: لم يَعدِل، ازْوِها عني

زوى الله عنك أوزارك»[١].

فهذه الرواية التي أوردها ابن الجوزي وهو رجل ثقة؛ تُظهِر حقيقة زهد حمّاد في أموال السلطان كما تبيّن مدى ورعه في أمواله مهما كانت المُغرَيات، وفضلاً عن ذلك كله، فهي تبيّن شهامته وعزّة نفسه وشجاعته الأدبية، التي كان يتحلّى بها إلى جانب إخوانه في الإيمان من كبار الفقهاء والمحدّثين في عالمنا العربي والإسلامي[٢].

٢ ـ نهاية ابن سلمة وتقويمه:

أ ـ وفاته ورُؤى الناس له:

اتفقت معظم المصادر على أن وفاة حمّاد بن سلمة كانت في ذي الحجة سنة ١٦٧/ ٧٨٢ بعد عيد النحر[٣]، في حين ذكر

---

(١) صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٢) عن الشجاعة الأدبية عند الفقهاء؛ انظر: الثوري، ص ١٧٤ وما بعدها. الفُضيل بن عياض، ص ١٥٧ وما بعدها.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ٢/ ٤٧٠؛ طبقات خليفة، ص ٢٢٣؛ التاريخ الكبير، ٣/ ٢٢ ـ ٢٣؛ مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧؛ الكامل في التاريخ، ٦/ ٧٦؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٥؛ العِبَر، ١/ ٢٤٨؛ دول الإسلام، ص ١٠٠؛ طبقات القرّاء، ١/ ٢٥٨؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٣؛ طبقات الحفّاظ، ص ٩٥؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨؛ شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢. «وانفرد الذهبي بالقول: إنه توفي نهار الثلاثاء». أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٣.

بعض المؤرّخين وأصحاب الطبقات سنوات مُغايرة لهذا التاريخ[1]. وبشهادة يونس بن محمد المؤدّب؛ فقد قضى حمّاد في المسجد وهو يصلي[2]، وذُكِرَ أنه صلّى عليه قُبَيل دفنه إسحٰق ابن سليمان[3].

أما بما يخصّ عدد السنوات التي عاشها حمّاد؛ فقد أفادنا موسى بن إسماعيل التبوذكي، فقال: «مات حمّاد وقد أتى عليه ستّ وسبعون سنة»[4]، في حين ذكر الذهبي أنه قارب الثمانين[5] وفي رأينا المتواضع؛ أن قول التبوذكي هو الأصح[6]، لأنه عايش الرجل وربما شهد وفاته، وأرّخه أيضًا.

---

(١) قال ابن قتيبة في المعارف أنه مات سنة ١٦٤/ ٧٨١ (ص ٢٨١)؛ وابن النديم في الفهرست سنة ١٦٥/ ٧٨٢، (ص ٣١٧)؛ والمسعودي في مروج الذهب سنة ١٦٦/ ٧٨٣ (٣/ ٣٢٤)؛ وأبو نعيم في الحلية قال: سنة ١٦٨/ ٧٨٤ (٦/ ٢٥٠)؛ وأيّده في ذلك ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣/ ٢٤٤).

(٢) الحلية، ٦/ ٢٥٠؛ صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٤؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٨؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١.

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٣، وإسحٰق بن سليمان الرازي، متّفق على توثيقه كان من الأبدال، مات سنة ١٩٩/ ٨١٥. مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ١/ ٢٣٤).

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٣.

(٥) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٠٣.

(٦) أثبتنا في مستهل هذه الدراسة؛ أن حمّاد بن سلمة ولد سنة ٩١/ ٧١٠، واتفقت المصادر على أنه توفي سنة ١٦٧/ ٧٨٣، وبناءً على ذلك يكون قد مات عن ستٍّ وسبعين سنة.

والمؤسف؛ أن سنة ١٦٧/ ٧٨٣ كانت بشهادة الذهبي سنة فناء العلماء بالبصرة[١]، فقد مات مع حمّاد أئمة كبار ومشايخ من مرو، والكوفة، ودمشق والإسكندرية[٢].

مهما يكن من أمر؛ فإن المصادر لم تُشِر إلى المراثي التي قيلت في ابن سلمة، ولم نعثر سوى على بيت واحد من مرثية ليحيىٰ اليزيدي[٣]، يقول فيها:

يـا طـالـب الـنَّـحْـوِ ألاَ فـابـكِـهِ
بـعـد أبـي عَـمْـرٍو وحـمَّـاد[٤]

ولحُسن ظن الناس بحمّاد بن سلمة وتأثّرهم بسيرته النبيلة؛ فقد ترك في ذاكرتهم وبين أظهرهم أثرًا جميلاً، لذا كانت له

(١) عن علماء البصرة الذين ماتوا سنة ١٦٧/ ٧٨٣ ـ ٧٨٤؛ انظر: أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤.
(٢) المكان نفسه، كما مات في الوقت نفسه؛ بشار بن برد شاعر وقته (المكان نفسه).
(٣) هو يحيىٰ بن المبارك اليزيدي، أبو محمد؛ عالم بالعربية والقراءة، كان من أهل البصرة، وسكن بغداد، واتصل بها دون الرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون، وعاش إلى أيام خلافته، وتوفي بمرو سنة ٢٠٢/٨١٨. ترجمة الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤/ ١٤٦ ـ ١٤٨، بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت)؛ طبقات القرّاء، ٢/ ٣٧٥.
(٤) ميزان الاعتدال ١/ ٥٩٢؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥١؛ معجم الأدباء، ٤/ ١٣٧. وأبو عمرو: هو ابن العلاء بن عمّار العريان النحوي البصري أحد الأئمة القرّاء السبعة، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية والعرب وأيامها والشعر، توفي سنة ١٥٤/ ٧٧١. مترجم في: (تهذيب ابن حجر، =

رؤى صالحة تليق به وترفع من قدره أثناء حياته وبعد موته.

روى عبد الله التميمي عن أبيه، قال: «رأيت حمّاد بن سلمة في النوم، فقلت: ما فعل ربك؟ قال: خيرًا. قلت: بماذا؟ قال: قيل لي طالما كَدرْت نفسك، فاليوم أُطيل راحتك وراحة المتقربين من أجلي، بخٍ بخٍ ماذا أعددت لهم؟!»[1].

وبحسب رؤيا أبان بن عبد الرحمن، فإن حمّاد بن سلمة هو الأقرب إلى الجليل من حمّاد بن زيد، قال أبان: رُؤِي حمّاد ابن زيد في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل: فما فعل بحمّاد بن سلمة؟ قال: هيهات!! ذاك في أعلا علّيين»[2].

وإذا كان حمّاد بن سلمة مقرّبًا إلى الله عز وجل بفضل عبادته وتقواه، فإن عبد الله بن المبارك كان أقرب منه، بل هو أرفع منه ومن حمّاد بن زيد بدرجات كثيرة. قال محمد بن يوسف الفريابي: «رأيت النبي (ﷺ) في المنام، قلت: يا رسول الله؛ ما فعل حمّاد بن سلمة، قال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا﴾[3]. قلت: يا رسول الله، ما فعل حمّاد بن زيد؟ قال: مع المقرّبين،

= ١٢/ ١٧٨ - ١٨٠).

(١) صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٤؛ الكواكب الدرّيّة، ١/ ١٠١.

(٢) الحلية، ٦/ ٢٥٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٩.

قال: قلت يا رسول الله ما فعل عبد الله بن المبارك؟ قال: فقال لي: هيهات، هيهات ذاك أرفع من هؤلاء»[1].

ب ـ تقويم ابن سلمة من خلال تبجيل العلماء له:

لكي تكتمل صورة حمّاد بن سلمة؛ لا بدّ من استعراض أقوال ومواقف الأئمة المعاصرين له، لنتبيّن قدره ونحدد مكانته في المجتمع الذي عاش فيه.

لا جدال؛ أن حمّاد بن سلمة كان أحد أئمة المسلمين[2]، بل هو أحد أعلام الأمة[3]، الذين خدموا عن كثب الحديث النبوي الشريف، فعمل على سماعه من مصادره الموثوقة، وواظب على حفظه وروايته، وشرح غوامضه وفق الأصول التي اتبعها الصحابة والتابعين. وفوق ذلك؛ فقد كان عابدًا زاهدًا ورعًا لا تساوي الدنيا في نظره جناح بعوضة، لهذا قال فيه الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك: «دخلت البصرة، فما رأيتُ أحدًا أشبه بمسالك الأُول من حمّاد بن سلمة»[4].

---

(١) الورع، ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٤.

(٣) عبد القادر بن أبي الوفا، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١/ ٢٥٥، ط ١، حيدرآباد: الدكن، مط. دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٢. (وفي آخره ذيل الجواهر المضية).

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٣؛ طبقات الحفّاظ، ص ٩٤؛ خلاصة تهذيب الكمال، ٧٨.

وتبنّى ابن حبّان البستي رأي ابن المبارك وأكد على أنه لم يوجد بين أقران حمّاد بالبصرة مَن يشبهه في كثيرٍ من المزايا الحميدة، فقال: «لم يكن من أقران حمّاد بن سلمة بالبصرة مثله، في الفضل والدين والنُسُك والعلم والكتب والجمع والصلابة في السُنّة والقمع لأهل البدع»(١).

وإلى جانب تفوقه على أقرانه في كل ما ذكره ابن حبّان، فقد كان مخلصًا في أخذه العلم وفي عطائه له(٢)، كما أنه وهب عمله في الحديث لله عز وجل(٣). فقد كان مَعنيًا بالمحافظة على جوهر حديث الرسول (ﷺ) وحمايته من كل دخيل ومدلس، أو صاحب بدعة، لهذا حَمَّلَ نفسه فوق طاقتها وقدم حياته خالصة للعبادة والذّوْد عن الحديث. قال عبد الرحمن بن مهدي: «لم أرَ أحدًا مثل حمّاد بن سلمة ومالك بن أنس، كانا يحتسبان في الحديث»(٤).

والجدير بالذكر؛ فقد اعترف كبار المحدّثين بسيادة حمّاد وعلوّ كعبه في علم الرواية والدراية، فسمع وُهيب بن خالد يقول: «كان حمّاد بن سَلَمَة سَيدُنا، وأعلمنا»(٥)، وهو أيضًا برأي

---

(١) الثقات، ٦/٢١٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/١٣.

(٢) طبقات ابن سعد، ٧/٢٨٢.

(٣) الحلية، ٦/٢٥١.

(٤) التاريخ الكبير، ٣/٢٣.

(٥) الجرح والتعديل، ٣/١٤١؛ ميزان الاعتدال، ١/٥٩٢؛ تذكرة الحفّاظ، =

ابن عديّ: «من أجلّة المسلمين»[1] ويحسب شهادة الذهبي، كان سيد أهل زمانه[2].

وعن أهمية حمّاد بن سلمة تحدّث أيضًا أحمد بن حنبل، فقيل له: ما تقول في حمّاد بن سلمة؟ قال: «خيّارًا»[3]، ومرة أخرى قال: «رجل صالح»[4]، وأيّده في ذلك العجلي[5]، وقال أبو طالب زيد بن أخزم الطائي: سألت أحمد عن حمّاد بن سلمة. فقال: «حمّاد بن سلمة من خيّار عبّاد الله الصالحين...»[6].

وقد ذهب الإمام أحمد أبعد من ذلك، فجعل الذين يذكرون ابن سلمة بسوء من بين المتّهمين في إسلامهم وعقيدتهم، فقال: «إذا رأيت الرجل ينال من حمّاد بن سلمة فاتّهمه على الإسلام»[7] كما أيّد يحيىٰ بن سعيد القطان هذا الموقف وأضاف إلى صفّ حمّاد المحدّث عكرمة بن عمار[8].

= ١/ ٢٠٢؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

(١) التهذيب، ٣/ ١٥.
(٢) العِبَر، ١/ ٢٤٨.
(٣) المعرفة والتاريخ، ٢/ ١٩٥.
(٤) الجرح والتعديل، ٣/ ١٤١.
(٥) تاريخ الثقات، ص ١٣١.
(٦) المعرفة والتاريخ، ٢/ ١٩٥.
(٧) تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٠٣؛ قابل: أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٠.
(٨) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧؛ طبقات الحفّاظ، ص ٩٤؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨؛ وعكرمة بن عمّار العجلي، هو أبو عمّار اليماني، وثّقه جماعة وضعّفه أحمد، وقال عاصم بن علي كان مُستَجاب الدعوة. (تاريخ الثقات، ص ٣٣٩؛ الجرح والتعديل ٧/ ١٠).

ولعل علي بن المديني جعل هذه القاعدة نافذة ليس على المسلمين فحسب بل تعدّتهم لتشمل سائر أصحاب الديانات السماوية، فقال: «مَن تكلم في حمّاد فاتهموه في الدين»[(١)].

وإلى جانب تفوّق حمّاد وتميّزه بين أقرانه وسيادته في أرض البصرة فهو بنظر شهاب بن المعمر البلخي: «كان يُعَدّ من الأبدال»[(٢)]، وذكر آخر، أنه كان يُعَدّ من الأبدال ومن أولياء الله عز وجل[(٣)].

وخير ما نختم به هذا الجانب ما ذكره عفان بن مسلم، قال رجل لعفّان: أحَدّثك عن حمّاد؟ قال: مَن حمّاد؟ ويلك! قال ابن سلمة. قال: «ألا تقول أمير المؤمنين»[(٤)].

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٦؛ ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢، تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.

(٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٣؛ طبقات الحفّاظ، ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) دول الإسلام، ص ١٠٠.

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢؛ قابل معجم الأدباء، ٤/ ١٣٦.

الباب الثاني
أخبار الإمام حمّاد بن زيد

الفصل الأول: نشأة حمّاد بن زيد ونشاطاته العلمية.

الفصل الثاني: نشاطه الديني ونهايته، ومقارنته بابن سلمة.

الفصل الأول

نشأة حمّاد بن زيد ونشاطاته العلمية

١ ـ مولده ونشأته العلمية:

هو العلاّمة حَمَّاد بنُ زَيْد بن دِرهم الأزدي[١] الجهضمي[٢]، مولاهم[٣]، أبو إسماعيل البصري الأزرق

---

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧.

(٢) التاريخ الكبير، ٣/ ٢٥؛ محيي الدين النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق ف. وستنفلد، ص ١٥٧، غوتينغن: ١٨٤٢/١٨٤٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ٩، وقال ابن معين في تاريخه: «مولى الجهاضم» (٢/ ١٨٦). وجَهْضَم: من ولد عوض بن مالك بن فهم. والجهاضم بالبصرة، منهم: جرير بن حازم المحدّث المشهور، وابنه وهب بن جرير، وبنو جَهْضَم يقولون: إنهم من ولد جهضم بن جذيمة الملك الوضّاح؛ والأشهر، برأي ابن حزم، أن جزيمة لم يعقّب. انظر: (علي بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، بعناية لجنة من العلماء، ص ٣٨٠. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣/ ١٩٨٣).

(٣) اتفقت المصادر على أن حمّاد بن زيد هو مولى جرير بن حازم. (تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٣٦؛ تاريخ الثقات، ص ١٣٠؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨). وجرير بن حازم: هو أبو النضر البصري الأزدي، أحد الأعلام. متفق على توثيقه، مات سنة ١٧٠/ ٧٨٦، مترجم في: (التاريخ الكبير، ٢/ ٢١٣؛ تهذيب ابن حجر، ٢/ ٦٩).

الضرير[1]، الإمام العَلَم[2]، الحافظ الثَّبْت محدّث الوقت[3]، أحد الأعلام[4]، المُجمَع على جلالته[5].

وُلِدَ حمّاد بن زيد بالبصرة سنة ٧١٦/٩٨[6]، وأصله من سِجِسْتَان[7] فذكر ابن حبّان؛ أن درهم جدّ حمّاد، كان من سَبي سِجستان[8]، وهو مولى لآل حازم من الأزد[9]، ولمّا مات حازم أبو جرير بن حازم، كان زيد والد حمّاد بن زيد مملوكًا له، فأعتقه جرير ويزيد ابنا حازم[10].

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/٤٥٦ ـ ٤٥٧. (٢) طبقات القرّاء، ١/٢٥٨.

(٣) أعلام النبلاء، ٧/٤٥٦.

(٤) خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

(٥) النووي: تهذيب الأسماء، ص ٢١٧.

(٦) طبقات ابن سعد، ٧/٢٨٦؛ مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧، وذكر البخاري بسنده عن عارم أبي النعمان، أنه سأل أم حمّاد بن زيد وعمّته عن مولده، قالت إحداهما: «ولد في زمان سليمان بن عبد الملك (٩٦ ـ ٩٩/ ٧١٥ ـ ٧١٧)، وقالت الأخرى: في زمان عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١/ ٧١٧ ـ ٧١٩)». (التاريخ الكبير، ٣/ ٢٥؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٤). غير أن معظم المصادر أكدت على أن ولادة ابن زيد كانت سنة ٩٨/ ٧١٦. (تهذيب النووي، ص ٢١٨؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣).

(٧) أعلام النبلاء، ٧/٤٥٧. وسِجسْتَان: تقع جنوبي هراة، أرضها رملية لا جبال فيها، وهي دائمة الرياح، وتشتهر بنخلها؛ أهلها فرس أشدّاء على مذهب الحنفية وفيها الكثير من الخوارج، (معجم البلدان ٣/ ٢١٤).

(٨) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧؛ تذكرة الحفّاظ، ١/٢٢٨.

(٩) طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٢٤.

(١٠) طبقات ابن سعد، ٧/٢٨٦؛ ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨١.

والمُلاحَظ؛ بشهادة البخاري أن زيد بن درهم كان في عداد المحدّثين الذين رَووا العلم عن أنس وابن سيرين، وروى عنه ابناه حمّاد وسعيد[1].

وغير ذلك لم تمدّنا المصادر بمعلومات عن بداية أمر حمّاد ابن زيد، بحيث توضح نشأته العلمية؛ بما فيها مساعي أهله في حثّه على أخذه العلم، وانكبابه على حفظ القرآن الكريم كغيره من المحدّثين، ولعل قضية تعلّمه كانت موضوع جدال قائم بين معاصريه، ولا سيما أن المصادر ذكرت أنه كان ضريرًا[2].

ويبدو أن أبا بكر بن أبي خيثمة؛ كان مهتمًا بهذه القضية، لذا أولاها عنايته، وبحث عن المواقف التي توضح هذا الجانب. فقال: «سأل إنسان عبيد الله بن عمر[3]، كان حمّاد بن زيد أُميًا؟ قال: أنا رأيته، وأتيته يوم مطر، فرأيته يكتب ثم ينفخ فيه ليجفّ». قال: وسمعت يحيىٰ يقول: «لم يكن أحد يكتب عند

---

(١) التاريخ الكبير، ٣/ ٣٩٣؛ وسمع سعيد بن زيد، علي بن الحكم وأخاه حمّاد بن زيد ومات سنة ١٦٧/ ٧٨٣، وقال فيه مسلم: «حدّثنا سعيد بن زيد أبو الحسن صدوق حافظ». (تاريخ ابن معين ٢/ ١٨٥؛ التاريخ الكبير، ٣/ ٤٧٢؛ المعارف، ص٢٨١.

(٢) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ٩؛ شذرات الذهب، ١/ ٢٩٢.

(٣) هو عبيد الله بن عمر بن ميسرة الجشمي، أبو سعيد البصرة، روى عن ابن زيد وعنه البخاري ومسلم وأبو داود، وثّقه ابن معين وابن سعد والعجلي والنسائي، مات سنة ٢٣٥/ ٨٤٩. (تاريخ الثقات، ص ٣١٨؛ تهذيب ابن حجر، ٧/ ٤٠).

أيوب ـ يعني السختياني ـ إلا حمّاد»[1]. وقد علّق النقّاد على ذلك بقولهم: «فهذا يدلّ على أن العَمَى طرأ عليه»[2].

وأما بالنسبة لأخذه القرآن الكريم بحسب أصوله العلمية وحروفه المعتمدة في ذلك الحين، فذكر صاحب طبقات القرّاء أنه روى الحروف عن عاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير، وأبي عمرو بن العلاء، وهو الذي روى عن ابن كثير: ﴿لا بيعٌ فيه ولا خُلّةٌ ولا شَفَاعَةٌ﴾[3]، ﴿لا لغوٌ فِيهَا ولاَ تَأْثِيمٌ﴾[4]، بالرفع فيها والتنوين، تفرّد بذلك عن ابن كثير. ومن القرّاء الذين رَوَوا عنه: شيبة بن عمرو بن ميمون المصيصي[5].

وفيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف؛ فقد عدّدت المصادر شيوخه الذين التقاهم وأخذ عنهم، فذكر شمس الدين الذهبي[6] وابن حجر العسقلاني[7]، وغيرهما[8]، أنه سمع من: أنس بن سيرين، وعَمرو بن دينار، وأبي عِمران الجَوني، ومحمد بن زياد القُرشي الجُمحي، وأبي حمزة الضُبعي، وثابت البُناني، وأيوب السَّختياني، وعبد العزيز بن صُهيب، وبشر بن حرب، وسلم بن

---

(1) تهذيب ابن حجر، ٣/١١. (2) المكان نفسه.
(3) سورة البقرة، آية: ٢٥٤. (4) سورة الطور، آية: ٢٣.
(5) شمس الدين الجزري، ١/٢٥٨. (وعمرو المصيصي: لم يترجم في: تاريخ الثقات، وطبقات القرّاء، وتهذيب ابن حجر).
(6) أعلام النبلاء، ٧/٤٥٧. (7) تهذيب التهذيب، ٣/٩.
(8) تاريخ ابن معين، ٢/٩٦، ١٣٠، ٢٣٨، ٢٥٣؛ الخزرجي، خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨؛ السيوطي، طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.

قيس العلوي، وشُعَيب بن الحبحاب، وعاصم بن أبي النَّجُود، وعاصم الأحول، ومحمد بن راسع، وصالح بن كيسان، وهشام ابن عروة، ومنصور بن المُعْتَمِر، ويُونس بن عُبيد، وأبي حازم الأعرج، وعبيد الله بن عمر وغيرهم من التابعين فمَن بعدهم. وقال أبو نعيم الأصبهاني: «أنه أدرك معظم التابعين من البصريين وأسند عنهم»[1]. غير أنه لم يلحق قتادة بن دعامة[2] وعلى ذمّة ابن أبي حاتم: فهو لم يسمع من أبي المهزوم شيئًا[3] في حين ذكر يحيىٰ بن مُعين أنه سمع من الزبير بن عدي[4]، ولم يسمع منه سفيان الثّوري[5].

ولمّا بلغ حمّاد بن زيد مركز الشُّهرة، وذاع صيته في أرجاء العالم الإسلامي، توافد طلاب الحديث وكبار الشيوخ لسماعه، حتى أن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم؛ لم يستنكفوا من الرواية

---

(١) حلية الأولياء، ٦/ ٢٦٠؛ صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٦.

(٢) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٨. وقتادة بن دعامة السدوسي، هو أبو الخطاب البصري الضرير، تابعي ثقة، كان عالمًا بالتفسير، وكان أيضًا أحفظ أهل البصرة، مات سنة ١١٧/ ٧٣٥. مترجم في: (تاريخ الثقات، ص ٣٨٩؛ طبقات الحفّاظ، ص ٥٤؛ تهذيب ابن حجر، ٨/ ٣٥١).

(٣) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١. وأبو المهزوم: هو يزيد بن سفيان البصري، روى عن أبي هريرة، تركه شُعبة وروى عنه حمّاد بن سلمة. (التاريخ الكبير، ٨/ ٣٣٩).

(٤) هو أبو عدي الكوفي، قاضي الري، متفق على توثيقه، وهو صاحب سُنّة، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٣/ ٣١٧).

(٥) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ١٣٠).

عنه، فذكرت المصادر[1] أنه روى عنه: إبراهيم بن أبي عَبْلة، وسفيان الثوري، وشُعبة بن الحجاج ـ وهم من شيوخه ـ وعبد الوارث بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن المبارك، وابن وهب، ويحيىٰ بن سعيد القطان، وسفيان بن عُيينة وهو من أقرانه، وعفّان بن مسلم، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وأبو النعمان عارِم، ومسدد القواريري، ومؤمل بن إسماعيل، وسليمان بن حرب، وعُبيد الله القَوارِيري، وأبو أسامة، وسليمان ابن حرب، وعمرو بن عوف، وعلي بن المَديني، وقُتَيبة بن سَعيد، ومحمد بن زنبور المكّي، وأبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي، ويزيد بن هارون، وأبو الرَّبيع الزَّهراني، ووكيع بن الجراح، ومحمد بن النَّضر المروزي. وخلق كثير أخرهم الهيثم ابن سهل التستري مع ضعفه[2]. وقال المناوي: «خرّج أحاديثه الأئمة الستّة»[3].

٢ ـ حفظه وإتقانه:

لا ريب؛ أن حمّاد بن زيد كان من الحفّاظ البارزين والرواة المتقنين، لذا؛ جاءت على ذكره المصادر المتخصّصة، مثال:

---

(١) عن شيوخ حمّاد بن زيد؛ انظر: تاريخ ابن معين، ٢/١٠٢، ١٤٥، ١٩٦. تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٣؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٥٧ ـ ٤٥٨؛ تهذيب ابن حجر، ٣/٩. وأيضًا؛ تهذيب النووي، ص ٢١٧؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

(٢) لم أعثر على ترجمة للهيثم بن سهل.

(٣) الكواكب الدرّيّة، ١/١٠١.

تذكرة الحفّاظ للذهبي، وطبقات الحفّاظ للسيوطي، كما جاء على ذكره ابن حبّان في كتابه مشاهير علماء الأمصار، فقال: «كان من الحفّاظ المتقنين، وكان يقرأ حديثه كله حفظًا وهو أعمى»[(١)] وقد أكد السيوطي هذا الأمر، فقال: «كان ضريرًا وكان يحفظ حديثه كله»[(٢)].

وأما الذهبي، فاستهلّ حديثه عنه بالقول: «هو الإمام الحافظ المجود»[(٣)]، كما ذكره في مصدر آخر، فقال: هو «عالِم البصرة الحافظ أبو إسماعيل»[(٤)]. بعد ذلك؛ راح يُثني على حفظه وإتقانه وعدالته وقلّة خطئه، فقال: «لا أعلم بين العلماء نزاعًا، في أن حمّاد بن زيد من أئمة السّلَف، ومِن أتقن الحفّاظ وأعدَلهِم، وأعدمِهم غلطًا، على سعة ما روى»[(٥)].

على كل حال؛ لكي تتبلور صورة الرجل في حفظه وإتقانه، لا بد من استعراض مواقف الأئمة المعاصرين له، لأن شهاداتهم هي الأصح لقربها زمانًا ومكانًا. وتأتي في طليعة الركب شهادة المحدّث عبد الرحمن بن مهدي، فسمع يقول: «ما رأيتُ أحدًا لم يكتب الحديث أحفظ من حمّاد بن زيد»[(٦)]، وأكد ذلك يحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري، فقال: «ما رأيت أحدًا من الشيوخ

---

(١) ص ١٥٧.
(٢) طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.
(٣) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٨.
(٤) دول الإسلام، ص ١٠٤.
(٥) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦١.
(٦) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٨؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

أحفظ من حمّاد بن زيد»[1]، وهو بشهادة الحافظ عبد الرحمن بن خراش، كان لا يخطىء أبدًا، فقال: «لم يخطىء حمّاد بن زيد في حديث قطّ»[2].

ولعل هذه التصريحات تبقى في الدرجة الثانية إذا ما علمنا أن ابن زيد تحدّث هو عن نفسه، فأشار إلى حفظه، وتمكّنه من مادته وإتقانه لأحاديثه. قال سليمان بن حرب، وهو شاهد ثقة: سمعت حمّاد بن زيد يحدّث بالحديث، فيقول: «سمعته من خمسين سنة ولم أحدّث به قبل اليوم...»[3].

والحديث عن حفظ ابن زيد يقودنا للكشف عن عدد أحاديثه التي كان يتقنها، وبالتالي معرفة أسماء مصنفاته أو كتبه التي كان يعتمد عليها في الرواية، وقد أفادنا في هذه الأمور سليمان بن حرب أيضًا، فقال: «لم يكن لحمّاد بن زيد كتابٌ، إلا كتاب يحيىٰ بن سعيد ـ يعني الأنصاري ـ»[4].

---

(١) تهذيب النووي، ص ٢١٧؛ العِبَر، ١/ ٢٧٤؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٨؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩.

(٣) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٨.

(٤) تاريخ ابن معين، ٢/ ١٤٨؛ تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٨؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٨؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩. أضاف ابن معين: «سمعه هو وجرير بن حازم من يحيىٰ بن سعيد» (المكان نفسه) ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري: مدني، تابعي، ثقة، وَلِيَ القضاء وكان له فقه، وكان رجلاً صالحًا. (تاريخ الثقات، ص ٤٧٢).

وأما بالنسبة لعدد أحاديثه التي كان يرويها، فلم يتمكّن ابن سعد من تحديدها، وإنما اكتفى بالقول: «كان كثير الحديث»[1]. ولعلّ الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي كان مهتمًّا بهذه الناحية، لذا؛ كان يعمد في تاريخيه[2] إلى تحديد عدد أحاديث الثقات من المحدّثين، كما كان يذكر أحيانًا أسماء مصنّفاتهم التي اعتمدوا عليها أو التي خلفوها بعد وفاتهم. وبخصوص حمّاد بن زيد، قال: «كان حديثه أربعة آلاف حديث، كان يحفظها»[3]، «ولم يكن له كتاب»[4].

وعلى الرغم من القدرات التي كان يتمتع بها ابن زيد؛ فقد كانت له أخطاء سجّلها عليه النقّاد وأئمة الحديث، ولكنها أقل بكثير من تلك المآخذ التي سجّلت على قرينة حماد بن سلمة[5].

مهما يكن من أمر؛ فإن أول القائلين فيه هو عبد الرحمن ابن مهدي، فقال: «لم يكن عنده كتاب إلا جزء ليحيىٰ بن سعيد وكان يغلط فيه»[5].

غير أن يعقوب بن شيبة ذهب أبعد من عبد الرحمن بن

---

(١) الطبقات الكبرى، ٧/٢٨٦.
(٢) تاريخ الثقات، ص ١٣١.
(٣) المكان نفسه.
(٤) تذكرة الحفّاظ، ١/٢٧٤؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٥٨؛ العِبَر، ١/٢٧٤؛ شذرات الذهب، ١/٢٩٢. ولعله ترك الحديث عن كتاب يحيىٰ الأنصاري بسبب العمى الذي أصابه، أو لجودة حفظه.
(٥) الجرح والتعديل، ٣/١٣٨.

مهدي فبيّن خطأه، وكشف عن المنزلقات التي كان يقع فيها، فقال: «ابن زيد معروف بأنه يُقصر في الأسانيد، ويوقف المرفوع كثير الشك بتوقّيه، وكان جليلاً، لم يكن له كتاب يرجع إليه، فكان أحيانًا يذكر فيرفع الحديث، وأحيانًا يهاب الحديث ولا يرفعه...»[1].

وغير ذلك: لم تذكر المصادر شيئًا عن أوهام[2]، أو أخطاء[3]، أو تدليس[4] عُرِف به حمّاد بن زيد، مما يجعله مميزًا بين أعلام المحدّثين.

٣ ـ علمه برُواة الآثار وناقلة الأخبار:

لا شك؛ أن حمّاد بن زيد كان على دراية واسعة بعلم الرجال، لذا؛ قال فيهم ما يستوجب قوله، فصنّفهم وفق أهميتهم في علم الحديث، وبالتالي، حثّ الناس على قبول البعض منهم، والأخذ عنهم لأن أحاديثهم صِحاح ومرسلة، من جهة أخرى حذّر المحدّثين من أخذ حديث الكَذَبَة والمُدَلّسين ممّن يستوجب تركهم لأنهم أساءوا إلى حديث الرسول (ﷺ).

فيُروى؛ أن مجالس حمّاد بن زيد وحلقاته التي كانت تضمّ

---

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/١١.

(٢) عن أوهام وتصحيف أئمة الحديث؛ انظر: الإمام الثّوري، ص ٨٣.

(٣) عن أخطاء المحدّثين في أسماء الرجال؛ انظر: الإمام شُعبة، ص ٩٨.

(٤) عن تدليس المحدّثين؛ انظر مثلاً: سفيان بن عُيينة، ص ١٠١ وما بعدها.

جمهرة من الشيوخ وطلاب العالم؛ كانت لا تخلو من الحديث عن تصنيف الرجال. وبطبيعة الحال؛ فقد كان لابن زيد خلال ذلك، رأيه الجازم، ولا سيما عندما كان القوم يختلفون في تحديد هوية الأئمة الأعلام. وفوق ذلك؛ كان ابن زيد يصرّح عن أسماء كبار المحدّثين الذين كانوا يقصدون أيوب السختياني لاستشارته فيما يُشكِل عليهما من الأمور. فقال: «رأيت ابن عون»[١]، ويونس بن عبيد[٢]، إذا حزّ بهما أمر أتيا أيوب»[٣]، فهذا يُظهِر قدر أيوب وعلو شأنه بين معاصريه، بخاصة إذا ما علمنا أن ابن عون ويونس من أعلام أئمة الحديث.

ولما كان يحتدم النقاش بين المحدّثين حول تفضيل حديث الثّوري أو حديث الحجاج بن أرطأة[٤]، كان يحسم الخلاف قائلاً: «كان حجاج أسرد للحديث من سفيان الثّوري»[٥]، وعن

---

(١) هو عبد الله بن عون المزني، أبو عون الخزاز البصري، متفق على توثيقه، حديثه في الكتب الستة، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ٥/ ٣٤٦).

(٢) يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم، أبو عبيد البصري، متفق على توثيقه مات سنة ٧٥٦/١٣٩ فحمله بنو العباس على أعناقهم، له ترجمة في: (التهذيب، ١١/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥).

(٣) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٠.

(٤) الحجاج بن أرطأة النخعي: يدلس، وفيه تيه لا يليق بأهل العلم، وَلِيَ قضاء البصرة، وكان على الشرطة، وكان أحد مفتي الكوفة، ضعّفه العُقيلي، وجرّحه ابن حبّان. (تاريخ الثقات، ١٠٧؛ المغني، ١/ ١٤٩؛ تهذيب ابن حجر، ١/ ١٩٦).

(٥) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٨.

إعجابه بحديث هشام بن حسان[1]، فقد عبّر عن رأيه بحضور إبراهيم بن مهدي، فقال: «أنبأنا أيوب وهشام، وحسبك بهشام!»[2]. وأما عن موقفه من جعفر بن سليمان[3]، فالواضح أنه كان لا يُنَفِّر المحدّثين منه، بل كان يحثّهم للأخذ عنه. فبشهادة أحمد بن حنبل: «كان لا ينهى عن جعفر بن سليمان»[4]، وربما لأنه كان يُحسِن الظن به، أو يجده من الثقات.

ومثلما كان لابن زيد موقفًا إيجابيًا من سادة المحدّثين، فقد كان سلبيًا وشديدًا في حكمه على الكذابين والضعفاء منهم، لأن في ذلك خدمة لشرف الحديث ونقائه، فبالنسبة لتصنيف أبي هارون العبدي[5]، قال: «كان أبو هارون العبدي كذابًا يروي بالغداة شيئًا وبالعشيّ شيئًا»[6].

---

(١) هو هشام بن حسان الأزدي القردوسي، أبو عبد الله البصري، متفق على توثيقه، أخرج له الجماعة، مترجم في: (تهذيب ابن حجر، ١١/ ٣٤).
(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٠؛ التهذيب، ١١/ ٣٥.
(٣) جعفر بن سليمان الضُبعي، أبو سليمان البصري الزاهد، وثّقه العجلي وابن معين، واتفقوا على أنه صدوق، ولم يطعن عليه أحد في الحديث، ولا في خطأ، وإنما أخذوا عليه تشيّعه، وأما حديثه فمستقيم. (التاريخ الكبير، ٢/ ١٩٢؛ تهذيب ابن حجر، ٢/ ٩٥).
(٤) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٥) هو عمارة بن جوين، أبو هارون العبدي البصري روى عن أبي سعيد الخدري وعنه الثوري والحمّادان، ضعّفه شُعبة، وقال أحمد: ليس بشيء، قال النسائي متروك الحديث. (تهذيب ابن حجر، ٧/ ٤١٢).
(٦) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٨؛ التهذيب، ٧/ ٤١٣.

كذلك كان موقفه سلبيًا من علي بن زيد، فضعّفه لأنه كان يُغيّر حديثه من حين لآخر، فقال: «كان علي بن زيد[1] يحدّثنا اليوم بالحديث ثم يحدّثنا غدًا فكأنه ليس ذاك»[2].

وعن تضعيف جلد بن أيوب[3]؛ حدّث النضر بن شميل، قال؛ سمعت حمّاد بن زيد يقول: «ما كان جلد بن أيوب يَسْوَى طلية أو طليتين في الحديث»[4]، ولما ذكر المحدّثون حديث الجلد عن أنس في ذكر الحيض، قال حمّاد: «عمدوا إلى شيخ لا يميّز بين قَرْء[5] وحيض وغير ذلك، فحملوه على أمر عظيم، قد كان في أول أمره يقول غن غير أنس، فحملوه على أن قال: عن أنس...»[6]. فلعل ابن زيد وجد مبررًا لجلد بن أيوب، وحمل مسؤولية تغيير إسناده إلى المحدّثين، الذين زجّوه في هذا المنزلق الصعب.

إلى جانب ذلك؛ كان ابن زيد يقف في وجه المحدّثين؛ وحتى الكبار منهم: بخاصة إذا كان في رواياتهم بعض الظنون،

---

(١) هو علي بن زيد بن جدعان البصري، كان يكتب حديثه وليس بالقوي، وكان يتشيّع. (تاريخ الثقات ص ٣٤٦؛ التهذيب، ٧/ ٣٢٢).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٠.

(٣) هو الجَلْد بن أيوب البصري، عن معاوية بن قرّة، ضعّفه إسحٰق بن راهويه، وقال أبو الحسن الدارقطني: متروك. (المغني في الضعفاء، ١/ ١٣٥).

(٤) التقدمة، ص ١٨٠.

(٥) القَرْء: الطُهر (مختار الصحاح، ص ٥٢٦).

(٦) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

فكان يلفت نظرهم إلى وجه الصواب في ذلك، ويأخذ بيدهم ليضعهم على الطريق السوي حتى لا يضلّوا ويضلّلوا الآخرين معهم. وبالتالي تسيء إلى سُمعتهم في علم الرواية، وهذا ما حصل فعلاً بينه وبين جرير بن حازم.

حدّث بهز بن أسد، قال: «كان حمّاد بن زيد عند جرير بن حازم، قال: فجعل جرير يقول: حدّثني محمد، قال: سمعت شُرَيحًا، وحدّثني محمد، قال: سمعت شُرَيحًا، فجعل حمّاد بن زيد يقول: يا أبا النضر لا تقل كذا، إن محمدًا لم يكن يقول كذا، أو أن أصحابك لم يقولوا كذا»[1].

فكان بذلك؛ يمارس دور المعلّم والمرشد في ميدان علم الحديث، وهذا خير دليل على قدراته العلمية وتمكّنه من مادته، وبالتالي تعمّقه في اختصاصه القائم على صحة الرواية سندًا ومتنًا.

كما ذكر ابن أبي حاتم حادثة أخرى تكشف عن أهمية حمّاد بن زيد في علم الحديث، وهي تبيّن عن حق، مدى حرصه على نقاء الأحاديث، وعلوّ أسانيدها وصحة أسماء رُواتها، وهذا ما حَدَّثَ به عبد الرحمن بن مهدي، فقال: «حدّثنا حمّاد بن زيد عن حفص بن سليمان[2]، عن حفصة بنت

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٩.

(٢) هو حفص بن سليمان المنقري التميمي البصري. روى عن الحسن البصري وعنه حمّاد بن زيد وثّقه ابن شاهين والبخاري والنسائي وقال أبو حاتم=

سيرين[1]، عن أبي العالية[2]، أن النبي (ﷺ)، «أمر مَن ضحك في الصلاة أن يُعيد الوضوء والصلاة»[3]، قال حمّاد: «قد ذكرت لحفص أن هشامًا[4] يحدّثه عن الحسن، فأنكر ذاك، قال: أنا حدّثت به الحسن ـ يعني عن حفصة بنت سيرين عن أبي العالية عن النبي (ﷺ)»[5].

وهذا الموقف الناقد للأحاديث، والباحث عن حقيقة الرجال، يكاد ينسجم مع الدور الكبير الذي كان يقوم به الإمام شُعبة بن الحجاج، رجل الجرح والتعديل، الذي عُرِفَ بنقده للرجال وتفتيشه عنهم[6].

ومن الوفاء أن نذكر أن سفيان بن عُيينة؛ كانت له نشاطات

= لا بأس به، مات سنة ١٣٠/٧٤٧. (تهذيب ابن حجر، ٢/٤٠٢).

(١) حفصة بنت سيرين، هي أم الهذيل الأنصارية البصرية، رَوَت عن أخيها يحيىٰ وأنس وأبي العالية وخيرة أُم الحسن البصري، وروى عنها: قتادة، وعاصم الأحول، وأيوب، وابن عون، وثّقها ابن معين. وذكرها ابن حبّان في الثقات، ماتت سنة ١٠١/ ٧٢٠. (التهذيب، ١٢/ ٤١١).

(٢) هو رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري، من كبار التابعين، متفق على توثيقه أخرج له الجماعة، مترجم في: (التهذيب، ٣/ ٢٨٤).

(٣) كلّ مَن روى حديث الضحك في الصلاة، فإنما مدارهم ورجوعهم إلى أبي العالية، والحديث له وبه يُعرَف، ومن أجله تكلموا فيه. (التهذيب، ٣/ ٢٨٥).

(٤) هو هشام بن حسان تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٩.

(٦) انظر كتابنا: شُعبة بن الحجاج، ص ١١٨ وما بعدها.

جدية في هذا المضمار، وإن كانت محدودة إذا ما قِيسَت بدور شُعبة[1]، الذي أخذ شيوخ الحديث هذا الاختصاص عنه، وبالتالي راحوا يطبّقونه في عملهم خلال أخذهم الحديث وروايته، من هؤلاء الأمة: يحيىٰ بن معين، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني وغيرهم.

من خلال ذلك كله؛ نتبيّن حقيقة حمّاد بن زيد، وكيفية تعاطيه مع الحديث الشريف؛ فهو لم يكن مهتمًا بحفظ الأحاديث فحسب، وإنما كان مَعنيًا بالتفتيش عن الصحيح منها، حتى إذا ما ثبت له ذلك، انكبّ على حفظها وإتقانها، لهذا ذكره النقّاد في عداد الثقات من أئمة الحديث. والتصريح التالي يؤكد ذلك؛ قال حمّاد: «كنّا نخرج من عند أيوب وهشام الدستوائي، فيقول لنا هشام: هاتوها قبل أن تبرد، فنقعد فنتذاكرها بيننا»[2].

٤ ـ مُفاضلة بين حمّاد بن زيد ومُعاصريه:

الواضح لدينا من خلال كتابة تاريخ أعلام الفقهاء والمحدّثين؛ أن الشخصية البارزة في عصر من العصور لا يمكن أن نُظهِر أهميتها، أو نحكم عليهم بشكل علمي وموضوعي؛ من دون أن نقابلها مع غيرها من الشخصيات المعاصرة لها.

وبطبيعة الحال؛ فإن هذا المبدأ ينطبق على دراسة حمّاد بن

(١) انظر كتابنا: سفيان بن عيينة، ص ١١٦ وما بعدها.
(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

زيد، الذي حاول الأئمة الأعلام مقارنته مع شيوخه وأقرانه، مما ساهم في رسم الإطار العامّ للرجل، وبالتالي ساعد على إبراز مكانته العلمية والفكرية.

وكان الإمام أحمد بن حنبل من الأوائل الذين ساهموا في دراسة حمّاد بن زيد، فقال في حبّه له وتفضيله على الآخرين: «حمّاد بن زيد أحبّ إلينا من عبد الوارث - يعني العنبري -»(١).

وأما يحيىٰ بن معين ففضّله على جمهرة من الأئمة الأعلام، لأنه بنظره أثبت منهم جميعًا، فقال: «حمّاد بن زيد أثبتُ من عبد الوارث، وابن عُليّة(٢)، وعبد الوهاب الثقفي(٣)، وابن عُيينة(٤)»(٥).

---

(١) الجرح والتعديل، ٣/١٣٨؛ والتقدمة، ص ١٧٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠. وعبد الوارث بن سعيد العنبري سبقت ترجمته.

(٢) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم، أبو بشر البصري المعروف بابن علية روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل وعاصم الأحول وأيوب، وعنه شُعبة وابن جريج وحمّاد بن زيد، سمّاه شُعبة ريحانة الفقهاء، متفق على توثيقه، وقدّمه ابن أبي شيبة على الحمّادين. التهذيب، ١/ ٢٧٥).

(٣) هو عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي، أبو محمد البصري، متفق على توثيقه، مترجم في: (التاريخ الكبير، ٦/ ٩٧؛ تهذيب ابن حجر، ٦/ ٤٤٩).

(٤) عن أهمية ابن عيينة؛ انظر: سفيان بن عيينة محدّث الحرم المكي، ص ١٠٦ وما بعدها.

(٥) الجرح والعديل، ٣/ ١٣٨؛ تقدمة، ص ١٨١؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٤؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

وبما يتعلق بتخصّص ابن زيد في الرجال، ذكرت المصادر أنه كان متعمّقًا في حديث أيوب السَّخْتِياني، وبشهادة الإمام الناقد يحيىٰ بن معين أيضًا؛ هو أثبت من جميع المحدّثين في أيوب، فسمع يقول: «ليس أحد في أيوب أثبت من حمّاد بن زيد»[(١)] وأيّده في ذلك يعقوب بن شيبة، فقال: «كان حمّاد بن زيد من المتثبتين في أيوب»[(٢)]، وقال آخر: «هو أجلّ أصحاب أيوب السختياني وأثبتهم»[(٣)].

ولمّا سُئِلَ ابن معين: إذا اختلف إسماعيل بن عُليّة وحمّاد ابن زيد في أيوب، لِمَن القول؟ قال: «القولُ قول حمّاد بن زيد»[(٤)]، وقيل ليحيىٰ: فإن خالفه سفيان الثوري؟ قال: «القول قول حمّاد في أيوب»[(٥)]. ثم عقّب يحيىٰ قائلاً: «ومَن خالفه من الناس جميعًا في أيوب، فالقول قوله»[(٦)].

وبطبيعة الحال؛ لا بدّ أن يكون حمّاد بن زيد قد عايش أيوب السختياني حقبة مديدة من حياته، حتى تمكّن من أخذ حديثه، وبالتالي أصبح متخصّصًا في الرواية عنه إلى هذا

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.

(٢) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١.

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٩.

(٤) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ١٦٩، ٢٣٠.

(٥) المكان نفسه.

(٦) المصدر نفسه، ٢/ ٢٣٠؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

المستوى الرفيع، وقد أكد ابن زيد نفسه هذا الأمر، وكشف عن المدة الزمنية التي لازم فيها الرجل، فقال: «جالست أيوب عشرين سنة»[1]، وقال غيره: «مات أيوب ولحمّاد بن زيد أربع وثلاثون سنة»[2]، وعلى هذا: يكون ابن زيد قد بدأ بأخذ حديث أيوب وهو في الرابعة عشرة من عمره.

وربما لجميع هذه المعطيات كان شُعبة بن الحجاج يقدّره وينصح المحدّثين بالأخذ عنه، فسُمِع يقول: «مَن أراد أيوب، فعليه بحمّاد بن زيد»[3].

ولعل ابن زيد كان متأثرًا إلى حدٍّ كبير بشيخه ومَثَله الأعلى أيوب السختياني، بدليل أنه لم يُقبل على المحدّثين والشيوخ الذين كان يقاطعهم أيوب لسبب أو لآخر؛ في حين كان يأخذ بشغف وفخر عن الأئمة الذين كان يزورهم أيوب أو يقدّر علمهم، عن ذلك حدّث ابن زيد قائلاً: «قَدِمَ علينا البصرة حمّاد ابن أبي سليمان[4]، فلم يأته أيوب، فلم نأته، وقال: وكان إذا

(١) تاريخ يحيى بن معين، ٢/ ١٦٩؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٩.

(٢) طبقات ابن سعد، ٧/ ٢٨٦.

(٣) عمر بن أحمد بن شاهين، تاريخ أسماء الثقات ممّن نقل عنهم العلم، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ص ١٠١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

(٤) هو أبو إسماعيل الأشعري الكوفي، أحد أئمة الفقهاء، روى عنه الثقات الكبار؛ شُعبة والثّوري وهشام الدستوائي وغيرهم، وثّقه ابن معين والنسائي وابن حيان. (التاريخ الكبير، ٣/ ١٨؛ التهذيب، ٣/ ١٦).

لم يأتِ أيوب أحدًا لم نأته. قال: وقَدِمَ علينا ليث بن أبي سُليم[1] فأتاه أيوب، فأتيناه»[2].

٥ ـ إمامته وأهميته الفقهية:

لقد أثنت المصادر الموثوقة على إمامة حمّاد بن زيد، فذكرته بكل ما يليق به كإمام جليل، ودعم هذا الموقف أقوال الأئمة المعاصرين له، أمثال: الإمام أحمد بن حنبل وعبد الرحمن ابن مهدي وغيرهما.

ويأتي في طليعة المؤلفات المتخصّصة التي تناولت هذه القضية؛ مُصَنِّف «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» الذي زكّى إمامة ابن زيد، وقال فيه: «هو الإمام الرشيد»[3]. وقال النووي: «هو الإمام البارع»[4]. أما شمس الدين الذهبي صاحب «العِبَر»، فقال: «هو إمام أهل البصرة»[5]، كما أيّد هذا القول ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب»[6]، وقد عَرَّفَه ابن كثير، بأنه: «أحد أئمة الحديث»[7]، وهو بنظر ابن أبي الوفا «الإمام الكبير

---

(١) جائز الحديث، وقيل: لا بأس به، (تاريخ الثقات، ص ٣٩٩).

(٢) طبقات ابن سعد، ٧/ ٢٨٦.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، ٦/ ٢٥٧؛ الكواكب الدرّية، ١/ ١٠١.

(٤) تهذيب الأسماء، ص ٢١٧.

(٥) ١/ ٢٧٤.

(٦) ١/ ٢٩٢.

(٧) البداية والنهاية في التاريخ، ١٠/ ١٧٤.

المشهور»[1]، وأخيرًا هو في «طبقات القرّاء»[2]: «الإمام العَلَم»، الذي لا يختلف في إمامته أحد، لأنها مبنيّة على علم راسخ، وخِبرة متينة استقّاها الرجل من تجربة مريرة مع علم الحديث.

ولو تركنا هذه الأقوال جانبًا، واستعرضنا موقف أئمة الحديث لأنهم هم الأقرب زمانًا ومكانًا لابن زيد؛ نجد الإمام أحمد هو السبّاق في ذلك؛ فقال: «حمّاد بن زيد من أئمة المسلمين، من أهل الدِّين والإسلام»[3].

أما عبد الرحمن بن مهدي وهو المتحمّس له دائمًا، فيجده أحد الأئمة الأربعة في زمانهم، فقال: «أئمة الناس في زمانهم أربعة: سُفيان الثَّوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوْزاعي بالشام، وحمَّاد بن زَيْد بالبصرة»[4].

إلى جانب إمامة حمّاد بن زيد في سُنّة النبي (ﷺ) الحديث الشريف، فقد كانت له أهميته في الأمور الفقهية، بدليل أن

---

(١) الجواهر المضية، ١/٢٥٨.

(٢) الجزري، ١/٢٥٨.

(٣) تقدمة الجرح، ص ١٧٧؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٥٨؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨؛ تهذيب ابن حجر، ٣/١٠.

(٤) أعلام النبلاء، ٧/٤٥٨؛ العِبَر، ١/٢٧٤؛ تهذيب النووي، ص ٢١٧؛ تهذيب ابن حجر، ٣/٩ - ١٠؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣؛ شذرات الذهب، ١/٢٩٢. (ذكر الشيرازي في طبقات الفقهاء اسم عبد الله بن المبارك بدلاً من الأوزاعي) تحقيق إحسان عباس، ص ٩٤، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٧٠

الشيرازي صاحب كتاب طبقات الفقهاء[1]، قد جاء على ذكره، وجعله أحد الأئمة المشهود لهم بالاجتهاد في أقطارهم.

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد استشهد ابن أبي حاتم بأقوال أئمة الحديث، الذي أقرّوا بمقدرة ابن زيد، وعلوّ كعبه في القضايا الفقهية، فقال: سُئِلَ أبي عن حمّاد بن زيد، فقال: قال عبد الرحمن بن مهدي: «ما رأيت بالبصرة أفقه من حمّاد بن زيد»[2]. وينسجم هذا الموقف مع رأي يحيىٰ بن معين الذي ذكر القول نفسه[3].

وأما شمس الدين الذهبي فاستشهد برأي أبي أسامة، الذي كان له نظرته الخاصة، فقال: «كنت إذا رأيت حمّاد بن زيد، قلت: أدّبه كِسْرى، وفقّهه عمر ـ رضي الله عنه ـ»[4].

وبالعودة إلى الجواهر المضية؛ نجد أن صاحبها قد عمد إلى تحديد المصدر الذي فقّه ابن زيد، فقال: «أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وهو الراوي عنه أن الوتر فريضة»[5].

مهما يكن من أمر؛ فإنه لا بد أن تكون لابن زيد خدمات

---

(١) ص ٩٤.

(٢) الجرح والتعديل، ٣/ ١٣٩، قابل: خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

(٣) الجرح، المكان نفسه، التقدمة، ص ١٨١؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦١؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩.

(٥) ابن أبي الوفا، ١/ ٢٢٥.

جليلة في القضايا الفقهية التي ساعدت بشكل أو بآخر في حلحلة العديد من الأمور العالقة بين أبناء المجتمع، وربما لهذا السبب قال فيه أبو نعيم الأصبهاني: «إن أكبر فوائده في الأقضية والأحكام»[1] وغير ذلك؛ لم نعثر على أيّة إشارة تفيدنا في توضيح نشاطاته الفقهية.

وأخيرًا؛ مما يدعم حمّاد بن زيد، ويزكّيه بين أقرانه، هو إقرار أئمة الحديث وأصحاب المصنفات بمكانته العلمية، فهو بنظر العديدين، الرجل الثقة، الثَّبْت، المتقن لأحاديثه، قال ابن معين: «ليس أحدٌ أثبت من حمّاد بن زيد»[2]، وهو بحسب رأيه: «ليس أحد أتقن منه»[3].

ويرى الخليلي أنه متفق عليه، رضيه الأئمة، فقال: «والمعتمد في حديثٍ يرويه حمّاد ويخالفه غيره عليه، والمرفوع إليه»[4]. وفوق ذلك؛ فقد وثّقه ابن سعد، فقال: «كان ثقة ثَبْتًا حجّة»[5]. كما ذكره العجلي في تاريخ الثقات، وقال فيه: «إنه ثقة ثَبْت في الحديث»[6].

وخير ما ندعم به هذا الجانب؛ هو ما ذكره الذهبي في

---

(١) الحلية، ٦/٢٥٧.

(٢) تذكرة الحفّاظ، ١/٢٢٨؛ العِبَر، ١/٢٧٤؛ شذرات الذهب، ١/٢٩٢.

(٣) تهذيب النووي، ص ٢١٨.

(٤) تهذيب ابن حجر، ٣/١١.

(٥) الطبقات الكبرى، ٧/٢٨٦. (٦) ص ١٣٠.

تزكيته، فقال: «وأما الإتقان، فمسلّم إلى ابن زيد، هو نظير مالك في التثبّت»[1].

وعلى ما في هذا القول من رجاحة في عقل الذهبي، ونزاهة في الحكم لصالح حمّاد بن زيد، نجد بعض الأئمة يبالغون في تصنيف الرجل، ويعملون على جعله في مرتبة أرفع من بعض فحول علم الحديث. ففي حين قال عبد الرحمن بن مهدي: «ما رأيت أعلم من حمّاد بن زيد، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري»[2]؛ عاد ليقول: ما رأيت أحدًا أعلم من حمّاد ابن زيد، لا سفيان ولا مالك!»[3]، وفي مناسبة أخرى قال: «لم أرَ أحدًا قطُّ أعلم بالسُّنَّة ولا بالحديث الذي يدخل في السُّنَّة من حمّاد بن زيد»[4].

وأحسب أن ابن مهدي؛ قد بالغ في حماسه لابن زيد، كما تحيّز لمدرسته إلى حدٍّ جعله في حكمه بعيدًا عن الرأي المتّزن والرشيد، بخاصة حينما جعل ابن زيد أعلم من مالك، والثوري، أما بالنسبة لرأيه الأخير؛ فأجد له مبرّرًا مقبولاً إذا كان يعني بذلك أن حمّادًا بلغ هذا المستوى بعد ذهاب الرجلين.

مهما يكن من أمر؛ فإن ذلك كله لا يقلّل من أهمية حمّاد

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ٧/ ٤٥٩؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.

(٣) تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٠.

(٤) الجرح والتعديل، ٣/ ١٣٨؛ التقدمة، ص ١٧٧؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٨.

ابن زيد، الذي غدا في وقت من الأوقات مَعقد آمال طلاب علم الحديث، ومَقصد الأئمة وكبار الشيوخ، بدليل ما صرّح به سليمان بن حرب[1] لجلسائه، فقال: «جالست حمّاد بن زيد تسع عشرة سنة، جالسته سنة ستّين ومائة (١٦٠/ ٧٧٧)، ومات سنة تسع وسبعين ومائة (١٧٩/ ٧٩٥)»[2].

ومما يُظهِر أهمية ابن زيد أيضًا؛ أنه كان له داله على كبار الأئمة أمثال الإمام شُعبة بن الحجاج سيّد المحدّثين، لذا؛ كان بعض رجال الحديث يلجأون إليه ليشفع لهم عند شُعبة، لعله يخفّف من أذى ملاحقته لهم بسبب تدليسهم وكذبهم على رسول الله (ﷺ).

قال ابن زيد: «جاءني أبان بن أبي عياش[3]، فقال: أحب أن تكلّم شُعبة، أن يكفّ عني. فكلّمته، فكفّ عنه أيامًا، وأتاني في الليل، فقال: إنه لا يحِلُّ الكفُّ عن أبان، فإنه يكذِبُ على رسول الله (ﷺ)»[4].

---

(١) هو سليمان بن بجيل الأزدي، أبو أيوب البصري، روى عن شُعبة والحمّادين وعنه البخاري وأبو داود وابن سعد وغيرهم، كان يحضر مجلسه في بغداد ما لا يقل عن أربعين ألف رجل، وقد وثّقه النسائي وابن خراش، كما ولاّه الخليفة المأمون قضاء مكة، وتوفي سنة ٢٢٤/ ٨٣٩. (تهذيب ابن حجر، ٤/ ١٧٨ - ١٨٠).

(٢) المعرفة والتاريخ، ١/ ١٧٠.

(٣) هو من التابعين، قال أحمد بن حنبل: «تركوا حديثه» (المغني في الضعفاء، ١/ ٧).

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦١؛ وعن ملاحقة شُعبة للكَذَبَة؛ انظر كتابنا: شُعبة بن=

ولعل حمّاد بن زيد استعان هذه المرة بأحد المحدّثين لإقناع شُعبة بالعدول عن ابن أبي عباس، فقال: «أتيت أنا وعبّاد ابن عبّاد[١] إلى شُعبة بن الحجاج، فسألته أن يكفّ عن أبان ويسكت عنه، فلما كان من الغد خرجنا إلى مسجد الجامع فبصر بنا فنادانا: يا أبا إسماعيل نظرت فيما كلّمتموني فوجدت لا يسعني السكوت. قال حمّاد: وكان شُعبة يتكلم في هذا حسبة»[٢]، أي أنه نصّبَ نفسه محتسبًا للذبّ عن حديث الرسول (ﷺ).

وبشهادة ابن زيد فإن شُعبة قد نفّذ ما أراده بأبان بن أبي عياش، قال حمّاد: «رأيت شُعبة قد لَبَّبَ[٣]، أبان بن أبي عياش، يقول: استعوي عليك إلى السلطان، فإنك تكذب على رسول الله (ﷺ)، قال حمّاد: فبصُرَ بي، فقال: يا أبا إسماعيل! قال: فأتيتُه، فما زلتُ أطلب إليه حتى خلّصته»[٤].

= الحجاج، ص ١٤٧ وما بعدها.

(١) هو عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب، أبو معاوية الأزدي البصري العتكي، مات قبل حماد بن زيد. (التاريخ الكبير، ٦/ ٤٠).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧١.

(٣) لببه: أي جعل ثيابه في عُنقِهِ وصدره في الخصومة، ثم قبضه وجرّه، لسان العرب، (مادة لبب).

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٥٥.

الفصل الثاني

نشاطه الديني ونهايته، ومقارنته بابن سلمة

١ ـ نشاطه الديني:

أ ـ عبادته وورعه:

الواقع؛ لقد قصرت المصادر في تتبّع أخبار حمّاد بن زيد، خصوصًا فيما يتعلق بنشاطه الديني، وكل ما يتضمنه من عبادة وتقوى، وزهد وورع، وبالتالي شغفه وإقباله على شتى أنواع العبادات، من صلاة وصوم وزكاة، وحج وجهاد، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك، وإنما اكتفت ـ أي المصادر ـ بذكر إشارات طفيفة تدل على عبادته وورعه، إضافة إلى اهتماماته بقضايا القرآن الكريم، ومحاربته أهل البدع الذين يتسببون بشكل أو بآخر بتشويه المقدسات، والإضرار بالقيم الدينية بكل ما تحتويه من مبادىء إنسانية وخلوقية تعتبر الأساس المتين للمحافظة على جوهر العلاقات الاجتماعية القائمة بين البشر.

وأول ما عثرنا عليه بخصوص موقف ابن زيد من قضيتي الزهد والورع، ومن سائر العبادات والأمور الدينية، هو ما ذكره ابن حيّان البستي، فقال: «كان حمّاد بن زيد من أهل الورع في

الدين»[1]، وعن تمسكه بمنهج السلف الصالح قال أبو نعيم الأصبهاني: «هو الآخذ بالأصل الوكيد، والمتمسك بالمنهج الحميد»[2] وبما يخصّ زهده، قال صاحب العيون والحدائق: «كان عالمًا زاهدًا»[3].

وبعد هذه الإشارات الخاطفة التي تُظهِر الموقف المبدئي لحمّاد بن زيد من القضايا الإيمانية، رُحنا نبحث عن دوره العملي أو التطبيقي الذي قام به في مجتمعه، لعلنا من خلال ذلك؛ نتبيّن حقيقة منهجه في الحياة، أو نتوصل إلى تحديد مساهماته الدينية والاجتماعية، لأن هذه الإصلاحات كانت منوطة بأعلام الفقهاء والمحدّثين وسائر العلماء ورجال الدين.

والواضح: أن حمّاد بن زيد كان يقرّ بأن الإيمان بالزيادة على عكس الكوفيين الذين ينادون بمبدأ التكامل والثبات. ففي رسالته التي وجّهها إلى قرينه جرير بن حازم، كشف عن موقفه ودعا إليه على أنه الأصوب والأصلح بحسب رأيه. قال يحيىٰ بن المغيرة: قرأت كتاب حمّاد بن زيد إلى جرير: «بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة، وأهل الكوفة يقولان بغير ذلك، اثبت على ذلك، ثبّتك الله»[4].

---

(١) مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧؛ شذرات الذهب، ١/ ٢٩٢.

(٢) حلية الأولياء، ٦/ ٢٥٧.

(٣) مؤلف مجهول، ٣/ ٢٩٧.

(٤) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٧.

وأما عن الورع الذي هو أول طريق الزهد[1]، فلدينا رواية ذكرها حمّاد على لسان أبيه زيد بن درهم، بيّن من خلالها أن أباه كان أستاذه في الورع واجتناب المعاصي. فكان كلما زلّت به القدم؛ لقّنه درسًا في الإقلاع عن ما حرّمه الله عز وجل، وما يرفضه الضمير الحيّ والمنطق السليم.

حدّث سليمان بن حرب قال: سمعت حمّاد بن زيد يقول: «كنتُ مع أبي، فأخذت من حائط تبنة، قال: فقال لي: لِمَ أخذت؟ قال: قلت: إنما هي تبنة، قال: لو أن الناس أخذوا تبنة تبنة هل كان يبقى في الحائط تبن؟!»[2].

فهذه الحادثة مع بساطتها؛ فإنها تُظهِر جانبًا من عقلية الرجال الورعين في ذلك الزمان، كما تبيّن طيبتهم وشفافيتهم التي اكتسبوها من أسلافهم، فكانوا يعملون على غرسها في نفوس أبنائهم لتبقى ذخرًا وتراثًا عبر التاريخ.

إلى جانب ذلك؛ كان حمّاد بن زيد مَعنيًا عناية فائقة بالقرآن الكريم، أُسوة بغيره من أعلام الفقهاء والمحدّثين، فكان عالمًا بمخارج حروفه التي أخذها عنه كبار الشيوخ والقرّاء، كما كان يدافع عن قداسته بعناد، فهو يؤمن بأنه إذا ما تساهل في الذّود عن الكتاب العزيز ولم يدحض أهل البدع، فسوف يرتكب

---

(١) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوّف، ص ٥٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٧.

(٢) الورع، ص ١١.

إثمًا عظيمًا، وبالتالي يساهم في هدم الركن الأساسي في صَرْح الإسلام القائم في جوهره وتاريخه على القرآن الكريم والحديث النبوي.

ولا شك؛ أن القضية الأساسية التي كانت تُقلِق ابن زيد، وتحثّه باستمرار للوقوف في وجهها، هي «محنة خلق القرآن». ولقد تحدّث أبو النعمان، عارم عن ذلك، فقال: سمعت حمّاد ابن زيد يقول: «القرآن كلامُ الله، أنزله جبريل من عند ربّ العالمين»[1]. وعن عدم تساهله مع القائلين بخلق القرآن؛ تحدّث فطر بن حمّاد بن واقد. فقال: «سألت حمّاد بن زيد، فقلت: يا أبا إسماعيل، إمام لنا يقول: القرآن مخلوق، أصلّي خلفه؟ قال: لا، ولا كرامة»[2]. ولعل هذه التصريحات وغيرها؛ تعتبر من ضمن اجتهادات ابن زيد وفتاواه الخاصة.

فهذه صورة حمّاد بن زيد في دفاعه عن القرآن الكريم، والحفاظ عليه من البِدَع التي لُفّقت حوله، وبالتالي هزّت العالم الإسلامي برمّته، لذا كان ابن زيد في إخلاصه لكتاب الله؛ يدعو إلى تآلف القلوب، والتفاف الناس من حوله، غير أن هذا الموقف لم يكن بدافع تعصّب ديني أو مذهبي، بقدر ما هو مهمة إصلاحية وتوحيدية غايتها إبعاد الأمة عن الترّهات والبِدَع التي قد تجعلها ضحية للصراعات الداخلية، وما ينتج عنها من الإطاحة

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦١.

(٢) حلية الأولياء، ٦/ ٢٥٨.

بأقوام قد يكون المجتمع بأمسّ الحاجة إلى نضوجهم الفكري. وبالفعل: فإن هذا ما شهدته البلاد خلال «محنة خلق القرآن»[1] زمن الخليفة العباسي عبد الله المأمون بن هارون الرشيد عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م، والتي استمرت حتى نهاية العصر العباسي الأول عام ٢٣٢/ ٨٤٧.

من هذا المنطلق؛ ومن خلال النظرة المستقبلية لحمّاد بن زيد، كان يعمد إلى رواية الأحاديث التي توحّد المجتمع، ولا سيما إذا كانت تلك الأحاديث المرفوعة تنتهي بالدعوة إلى تلاوة السُوَر والآيات التي فيها تآلف، وترك ما فيه تباعد واختلاف في وجهات النظر.

ذكر الذهبي[2] بسنده عن حمّاد بن زيد، عن أبي عمران الجَوْني، أنه سمع جُندب بن عبد الله[3] يقول: «اقْرَؤوا القُرآنَ ما ائْتَلَفَتْ عَلَيهِ قُلُوبُكم، فإذا اخْتَلَفْتُمْ فيه، فَقُومُوا عَنْهُ»[4].

وأما بالنسبة لشروحات حمّاد للآيات القرآنية، والتي كانت قليلة جدًا، فهي على قلّتها تبيّن قدرته على الغوص في شرح غوامضها، وتقريب معانيها إلى عقول الناس وقلوبهم.

---

(١) عن المحنة؛ انظر: الطبري، ٧/ ١٩٥ وما بعدها: الكامل: ٦/ ٤٢٣ وما بعدها.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٣) جُندَب بن عبد الله الوالبي، كوفي، تابعي، ثقة (تاريخ الثقات، ص ١٠٠).

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٣.

قال سليمان بن حرب: سمعت حمّاد بن زيد يقول في قوله تعالى: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْواتَكُم فَوْقَ صَوْتِ النبي﴾[1]. قال: «أرى رفع الصوت عليه بعد موته، كرفع الصَّوت عليه في حياته، إذا قرىء حديثه، وجب عليك أن تنصِتَ له كما تنصتُ للقرآن يعمر ـ كذا ـ»[2].

ولكي يتبيّن يزيد بن هارون[3]، قدرة حمّاد على الإحاطة بالقرآن؛ سأله[4]: «هل ذكر الله أصحاب الحديث في القرآن؟ قال: بلى، الله تعالى يقول»: ﴿فَلَوْلاَ نَفَر مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ منْهُم طائفة لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ...﴾ الآية[5]؟ فهذا في كل مَن رحل في طلب العلم والفقه، ويرجع به إلى مَن وراءه يعلّمهم إياه[6].

ب ـ موقفه من أهل البِدَع:

لكي يكتمل دور حمّاد بن زيد الديني، ونكشف عن

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٠.

(٣) هو يزيد بن هارون بن وادي السلمي، أبو خالد الواسطي، ثقة، ثَبْت في الحديث، وكان متنسكًا عابدًا، توفي سنة ٢٠٦/ ٨٢١. (تاريخ الثقات، ص ٤٨١؛ التهذيب، ١١/ ٣٦٦).

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٠.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٦) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد سعيد أوغلي، ص ٥٩، بيروت: دار إحياء السُّنّة، (د.ت).

إخلاصه للمشاعر الإيمانية، فقد بحثنا في موقفه من المبتدعة، الذين كانوا يشوّهون جوهر الأديان السماوية وقدسيتها التي ذكرها العزيز في تنزيله، وقد اتّضح لنا؛ أنه كان لابن زيد موقفًا واضحًا من القدرية، والجهمية، والمرجئة، وقد أشار يحيىٰ القطان إلى موقفه من القدرية فقال: «كان شُعبة، وحماد بن سلمة، وحمّاد ابن زيد، لا يرون شيئًا من القدر»[1].

ولا شك؛ أن مجالس ابن زيد كانت لا تخلو من بعض المناظرات التي تدور فيها أحاديث عن المبتدعة. فكان يصرّح خلالها عن موقفه منهم، ويفضح حقيقة أمرهم من الخالق تبارك وتعالى، ومن الرُسُل (ع) والكتب السماوية، عن ذلك؛ تحدّث سليمان بن حرب، وأظنه كان ملازمًا لابن زيد، فقال: «سمعت حمّاد بن زيد ـ وذكر هؤلاء الجهمية»[2]، فقال: «إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء»[3]، وفي مناسبة أخرى قال: «إنهم يريدون أن يقولوا: ليس في السماء إلّه»[4]. ولا يُستبعد أن

(١) تاريخ يحيىٰ بن معين، ١٤٨/٢، والقدر هنا يعود للقدرية وهم قومٌ ينكرون قضاء الله وقدره ويقولون إن كل إنسان خالق لفعله بإرادته.

(٢) الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان الترمذي؛ قالوا بنفي التشبيه، وزعموا أن العالم محدث؛ وقالوا: لا يجوز أن يقال أن الله شيء، ولكنه مُنشِيء الشيء؛ قالوا: لأنه لم يقع اسم الشيء إلا على مخلوق، ولا يكون الله تعالى بصفة الخلق. (الحور العين، ص ٢٠٠).

(٣) الحلية، ٢٥٨/٦.

(٤) أعلام النبلاء، ٤٦١/٧؛ تذكرة الحفّاظ، ٢٢٩/١.

يكون ابن زيد قد تأثر بأستاذه أيوب السختياني الذي كان ينحو هذا النحو تجاه أهل البدع[1].

والواضح؛ أن ابن زيد لم يكن شديدًا مع أهل البدع فقط، وإنما كان سيفًا مُسْلطًا فوقَ رقاب المتساهلين معهم أيضًا، لأن الواجب الشرعي، بحسب رأيه، يتطلّب الوقوف في وجههم ومحاربتهم بدلاً من مُداراتهم والسكوت على أخطائهم. وقد عبّر عن موقفه هذا في تَصدّيه لسياسة أبي حنيفة الإمام الشهير وصاحب المذهب الحنفي.

حدّث إسحٰق بن عيسى، قال: «كنا عند حمّاد بن زيد ومعنا وهب بن جرير، فذكرنا شيئًا من قول أبي حنيفة، قال حمّاد بن زيد: اسكت، لا يزال الرجل منكم داحضًا في بوله يذكر أهل البِدَع في مجلس عشيرته حتى يسقط من أعينهم، ثم أقبل علينا حمّاد، فقال: أتدرون ما كان أبو حنيفة؟ إنما كان يخاصم في الإرجاء[2]، فلما تخوّف على مهجته تكلم في الرأي فقاس سُنن رسول الله (ﷺ) بعضها ببعض ليبطلها، وسُنن

---

(١) الحلية، ٦/٢٥٨.

(٢) الإرجاء يعني التأخير، يقال: أُرجيتُ العمل، وأرجأته، إذا أخّرته. وإنما سمي أهل الإرجاء بالمرجئة لأنهم أخّروا العمل عن الإيمان. ورُوِي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيًا». قيل مَن المرجئة يا رسول الله؟ قال: «الذين يقولون الإيمان كلام» يعني الذين زعموا أن الإيمان هو الإقرار وحده دون غيره. (عبد القاهر الإسفرائيني، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عبد الحميد، ص ٢٠٢، بيروت ١٤١٣/ ١٩٩٣).

رسول الله (ﷺ) لا تُقاس[1].

ولعل ابن زيد ظل عنيفًا مع أبي حنيفة حتى بعد أن وصله نبأ وفاته، لأنه حَمَّله مسؤولية توازي جلالته وعلوّ شأنه، فكان يتخوّف أن يتأسّى به عامّة الناس فيتساهلون مثله مع المبتدعة، لهذا قال فيه ما يبيّن موقفه منه. حدّث منصور بن أبي مزاحم، قال: سمعت أبا العذري يقول لحمّاد بن زيد: «مات أبو حنيفة؟ قال: الحمد لله الذي كنس بطن الأرض به!!»[2].

وواضح أيضًا؛ أن حمّادًا كان يُظهِر حبّه للخليفة الراشدي عثمان بن عفّان، فكان يدافع عنه، ويتصدّى لمَن يفضّل الإمام علي بن أبي طالب عليه، لأنه، بحسب رأيه، يتخوّف من بعض الانعكاسات السلبية التي قد تطال سائر الصحابة كأن يُتّهموا بالخيانة، لهذا كان يقول: «لئن قلت إن عليًا أفضل من عثمان، لقد قلت إن أصحاب رسول الله (ﷺ) قد خانوا»[3].

إن هذه المواقف وغيرها، تدفعنا للبحث عن مذهب حمّاد بن زيد، وبالعودة إلى المصادر وقعت على تصريح لابن قتيبة[4]، وأكّده أيضًا ابن سعد[5] ومفاده أن حمّاد بن زيد كان عثمانيًا[6].

---

(١) الحلية، ٦/٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ٦/٢٥٩.
(٣) المصدر نفسه، ٦/٢٥٩.
(٤) كتاب المعارف، ص ٢٨١.
(٥) الطبقات الكبرى، ٧/٢٨٦؛ تهذيب ابن حجر، ٣/١٠.
(٦) أي كان ينتصر لعثمان بن عفان ويتولاه، ولعل كل مَن كان مع معاوية بن أبي =

وأما بالنسبة لموقفه من الأمراء والحكّام وتعامله معهم أو بُعده عنهم؛ فإننا لم نعثر سوى على إشارة واحدة، ومفادها أنه صلّى على جعفر بن سليمان الهاشمي حين مات[1] وهذه الإشارة لا يمكن أن نعتبرها مؤشّرًا لتعاطفه مع الحكّام، لأن هذا الموضوع هامّ ومتشعّب ولا يجوز حسمه من خلال فكرة عابرة.

٢ ـ نهاية ابن زيد وتقويمه:

أ ـ وفاته ورثاؤه:

الثابت؛ بشهادة الأئمة المُعاصرين لحمّاد بن زيد، وبتأكيد واضح من المصادر التاريخية وكتب الطبقات، أن حمّاد بن زيد قضى في سنة ١٧٩/ ٧٩٥[2] ولدينا مصادر أخرى أكثر دقة، حدّدت وفاته في شهر رمضان من السنة نفسها[3].

غير أن الاختلاف الحاصل؛ هو في تحديد اليوم الذي مات فيه الرجل، ففي حين يذكر البعض أنه توفي يوم الجمعة في شهر

= سفيان في موقعة صفّين سنة ٣٧ هـ/ ٦٥٨ م وغيرها، فهو عثماني.

(١) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ١٧٤.

(٢) طبقات ابن خياط، ص ٢٢٤؛ والتاريخ الكبير، ٣/ ٢٥؛ مروج الذهب، ٣/ ٣٤٠، البداية والنهاية، ١٠/ ١٧٤؛ طبقات القرّاء، ١/ ٢٥٨؛ العيون والحدائق، ٣/ ٢٩٧. (وانفرد الخزرجي بالقول: إنه توفي سنة ١٩٧ م/ ٥٨١٢، وهذا وَهم واضح)؛ خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

(٣) الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٦؛ تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٨٤؛ المعارف، ص ٢٨١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١.

رمضان[1]، يشير ابن سعد إلى أنه مات يوم الجمعة لعشر ليالٍ خَلَوْن من رمضان[2]، وقال أبو حفص الفلاس: «مات في يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان»[3]. أما خليفة بن خياط فيجد أنه مات يوم الخميس ودفن يوم الجمعة لستّ ليالٍ مضين من شهر رمضان[4]. وبذلك تكون المصادر قد اتفقت على تحديد اسم اليوم الذي شهد وفاته وبقي الاختلاف حول إذا ما كانت الوفاة في العشر الأوائل من رمضان أو بعد ذلك الوقت.

على كل حال؛ فعلى الرغم من أن البعض يعتبر أن تحديد اليوم ليست قضية بذات أهمية، ولكن الأمانة العلمية، والدقّة التأريخية تحتّم علينا التصدّي لتلك التفاصيل على صغرها، لنكون أوفياء لتاريخ الرجل الذي تصدّت لقضية وفاته أبرز المصادر الأصيلة.

بعد ذلك؛ عمدت بعض المصادر إلى تحديد عدد السنوات التي عاشها ابن زيد، فذكر ابن سعد[5] ومن بعده ابن الجوزي[6]، أنه عاش إحدى وثمانين سنة، في حين وجد

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٨١؛ مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٧.
(٢) الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٦؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣، أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٢.
(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٢.
(٤) تاريخ ابن خياط، ٢/ ٤٨٤.
(٥) الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٦.
(٦) صفة الصفوة، ٣/ ٢٤٦؛ وأيضًا: الخزرجي، خلاصة، ص ٧٨.

الذهبي أنه عاش ثمانين سنة فقط[١].

واستنادًا إلى كل ما تقدّم؛ تكون وفاة حمّاد بن زيد بمدينة البصرة[٢]، وفاقًا يوم الجمعة في ١٠ رمضان سنة ١٧٩/٧٩٥ عن إحدى وثمانين سنة، وقد صلّى عليه قبل دفنه إسحٰق بن سليمان ابن علي الهاشمي[٣]، وهو يومئذٍ والٍ على البصرة من قبل الخليفة هارون الرشيد[٤].

كما ذكرت المصادر أنه مات مع ابن زيد في سنة ١٧٩/ ٧٩٥ الإمام مالك بن أنس، ومحدّث الكوفة أبو الأحوص سَلاّم ابن سُليم الحنفي والحافظ الحجة خالد بن عبد الله الطحان بواسط، وعباد بن عباد المهلبي بالبصرة وغيرهم[٥].

الواقع؛ أن إمامًا جليلاً مثل حمّاد بن زيد، كان لا بدّ أن يترك غيابه فراغًا كبيرًا بين أقرانه وطلابه وأبناء مجتمعه. لذا؛ فلما افتقده هذا الجمع من المُحبّين له والمخلصين لذكراه، عبّروا عن آلامهم وصدق مشاعرهم نحوه بأقوال تعزّز من مكانته،

---

(١) دول الإسلام، ص ١٠٤.
(٢) العيون والحدائق، ٣/ ٢٩٧.
(٣) ذكره ابن الأثير في الكامل (٦/ ٢١٥)، في عداد وُلاة البصرة زمن الخليفة هارون الرشيد.
(٤) الطبقات الكبرى، ٧/ ٢٨٧؛ المعارف، ص ٢٨١.
(٥) المعارف، ص ٢٨١؛ الكامل في التاريخ، ٦/ ١٤٧؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٢.

وتخلّد ذكراه بين الناس، فكان مبجّلاً في حياته، وسيّدًا رائدًا بعد موته.

قال أُميّة بن بسطام: سمعت يزيد بن زريع يقول يوم مات حمّاد بن زيد: «مات اليوم سيّد المسلمين»[(١)].

وأما أبو عاصم النّبيل فإنه لم يجد له شبيهًا في الإسلام. عن ذلك؛ حدّث أحمد بن سعيد الدّارمي، قال: «سمعت أبا عاصم النبيل يقول: مات حمّاد بن زيد يوم مات، ولا أعلم له في الإسلام نظيرًا في هيئته ودَلّه، أظنه قال: وسمْتهِ»[(٢)].

وعلى ما أجد في هذا القول من مبالغة؛ لأنه بعد موت حمّاد بن زيد، بقيت ثُلّة صالحة، وجماعة رائدة في علم الحديث فتفانت في الذّبّ عن حرمَة الإسلام برُكنيه القرآن الكريم والحديث الشريف، لأن الأرض لا تخلو من الرجال الصالحين وعلى مدار الزمان.

بكل حال؛ فقد علّق الذهبي على رأي أبي عاصم بقوله: «تأخر موته - يعني موت حمّاد - عن مالك قليلاً، ولذلك قال أبو عاصم ذلك»[(٣)]، وهذا يعني برأي الذهبي، أنه لو كان مالك بن أنس لم يزل حيًا يوم مات حمّاد بن زيد، لمّا تجرّأ أبو عاصم،

---

(١) الحلية، ٦/٢٥٩؛ صفة الصفوة، ٣/٢٤٦؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٥٩؛ تهذيب ابن حجر، ٤/١٠.

(٢) الحلية، ٦/٢٥٨؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٥٦؛ تذكرة الحفّاظ، ١/٢٢٩.

(٣) أعلام النبلاء، ٧/٤٥٩.

أو على الأقل، لمّا سمح لنفسه بأن يتفوّه بما قاله للملأ[1].

مهما يكن من أمر؛ فإن حمّاد بن زيد يبقى في نظر مُعاصِرِيه، ذلك الإمام الرائد في علم الحديث، لأنه بذل الكثير من أجله، فحافظ على شرفه بين الناس، وأبقاه بعيدًا عن متناول المتطفلين والدّخلاء.

ب ـ تقويم ابن زيد:

نظرًا للمستوى الرفيه الذي بلغه حمّاد بن زيد على المستويين الفكري والخلوقي، فقد كان موضع إعجاب مُعاصريه، لذا قالوا فيه ما يليق به، فُيبرِز قدره ويبيِّن أهميته، مما يُساعد على تقويمه وإصدار الحكم عليه.

والمُلاحَظ؛ أن المصادر قد اكتفت بذكر كلمة موجزة عنه، ثم عرجت على عرض آراء معاصريه وأقوالهم. فهو بشهادة ابن أبي حاتم: «أحد العلماء الجهابذة النقّاد بالبصرة»[2] وهو الإمام المُجمَع على جلالته[3] وباختصار فإن «شُهرته تُغني عن الإطناب»[4].

ونكتفي بهذا القدر من المواقف التي تُعَرّف بواقع ابن زيد، لننتقل إلى أقوال وآراء جمهرة العلماء وأئمة الحديث التي تسلّط

---

(١) الملأ: جماعة القوم. أشرافهم الذين يملأون العيون أُبّهة والصدور هيبة.
(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٦.
(٣) تهذيب النووي، ص ٢١٧.
(٤) الجواهر المضية، ١/ ٢٢٥.

الأضواء على شخصية الرجل علميًا وفكريًا وغير ذلك؛ وأول ما يُطالعنا في هذه الميادين ما أشار إليه خالد بن خداش، فقال فيه: «كان من عُقَلاء الناس وذوي الألباب»[1]، وقال محمد بن عيسى ابن الطباع: «ما رأيت أعقل من حمّاد بن زيد»[2].

ونظرًا لموقع ابن زيد الفكري والديني والخلقي؛ فقد أصبح بنظر بعض الأئمة هو المقياس على صدق الرجال، وتمسكهم بمبادىء الشرع وسيرة السلف الصالح، لذلك قال عبد الرحمن ابن مهدي: «إذا رأيت بصريًا يحبّ حمّاد بن زيد فهو صاحب سُنّة»[3].

وإلى جانب تقدير ابن مهدي لحمّاد بن زيد فكان يقدّره أيضًا: مالك بن أنس، وإسماعيل بن علية وسفيان الثوري، ويحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري الذي لم يرَ أفضل منه، فقال: «لم أرَ أحدًا من الشيوخ أفضل من حمّاد بن زيد»[4].

وقال بقية بن الوليد: «ما رأيت بالعراق مثل حمّاد بن زيد»[5]. وأما موقف الإمام مالك، فقد عبّر عنه فِطر بن حمّاد،

---

(١) الحلية، ٦/ ٢٥٩؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٢؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٠.

(٣) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٣.

(٤) شذرات الذهب، ١/ ٢٩٢.

(٥) تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٢٩؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٠.

فقال: دخلت على مالك فلم يسألني عن أحد من أهل البصرة إلاّ عن حمّاد بن زيد»[1].

وكذلك كان إسماعيل بن عُليّة يحسن الظن به، ويخلع عليه ألقابًا تعزّز من مكانته، وتقرّب رجال العلم إليه، حدّث أبو الربيع الزهراني، قال: «ذكرت لإسماعيل بن علية حديثًا، فقال: مَن حدّثك؟ قلتُ حمّاد بن زيد، قال: شيخ الشباب»[2].

وبشهادة سفيان بن عُيينة فقد كان سفيان الثّوري يقدّر ابن زيد حقّ قدره، وربما شوهد جاثيًا بين يديه تقديرًا له وإجلالاً لحديث رسول الله (ﷺ)[3]. وأكّد شهادة ابن عُيينة ما ذكره عبد الرحمن بن مهدي، فقال: «رأيت سفيان الثّوري جاء إلى حمّاد ابن زيد، وسأله عن حديث أبي الصهباء[4]، وسعيد بن جُبير[5]، عن أبي سعيد الخدري: «أن الأعضاء تكفّر بعضها بعضًا». قال؛

---

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

(٢) تقدمة الجرح، ص ١٨٢.

(٣) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١.

(٤) هو أبو الصهباء الكوفي، روى عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري رفعه «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان» الحديث. وروى عنه حمّاد بن زيد وعمارة بن زاذان. ذكره ابن حيّان في الثقات. (التاريخ الكبير، ٨/ باب الكن، ص ٤٤؛ التهذيب، ١٢/ ١٣٥).

(٥) سعيد بن جبير بن هاشم الأسدي الكوفي المقرىء، تابعي، ثقة، تتلمذ على ابن عباس وابن عمر، كان من أكثر التابعين علمًا ومكانةً، وهو من أوائل مفسّري القرآن، قتله الحجّاج في سنة ٩٥/ ٧١٤. (التهذيب، ٤/ =

فرأيت سفيان الثّوري جاثيًا بين يدي حمّاد بن زيد وهو يُملي عليه هذا الحديث»[1].

ولعل هذا الموقف يعود؛ إلى هيبة حمّاد بن زيد ومكانته عند الثّوري، وأيضًا؛ ينمّ عن حُسْن تواضع الثّوري بين يدي العلماء وأئمة الحديث، على الرغم من إمامته وأهميته العلمية التي تناقلت أخبارها الركبان، بعد أن بوّأته لأن يعتلي سُدّة أمير المؤمنين في الحديث.

إلى جانب ذلك؛ فقد عبّر الثّوري عن احترامه لابن زيد وتقديره له من خلال اختياره كخليفة لشعبة بن الحجاج سيّد المحدّثين. فحينما توفي شُعبة واختلف الرجال في اختيار خليفة له، برز الثّوري وقال على مَسمَع أئمة الحديث: «رجل البصرة بعد شُعبة ذاك الأزرق ـ يعني حمّاد بن زيد ـ»[2].

ولعل هذا الأمر كان موضوع جدال وتساؤل بين أئمة الحديث، بدليل أن ما أدلى به الثّوري، كان له صَداه بين العلماء، حتى لجأ البعض منهم إلى التأكيد عليه والدفاع عنه، فلهؤلاء الرافضين لتصنيفات الثّوري والمتشكّكين بها، قال أبو الوليد: «ترون حمّاد بن زيد دون شُعبة في الحديث؟!»[3].

= ١١ ـ ١٤).

(١) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٢.

(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٧٧؛ تذكرة الحفّاظ، ١/٢٢٩.

(٣) الجرح والتعديل، ٣/١٣٨؛ أعلام النبلاء، ٧/٤٦٤؛ تهذيب ابن حجر، =

وفي هذا الصّدد، أشار سليمان بن حرب إلى أنه أخذ الحديث على شُعبة بن الحجاج حتى موت هذا الأخير سنة ١٦٠/ ٧٧٧، وبعدها مباشرة لزم حمّاد بن زيد مدة تسع عشرة سنة[١].

ولا شك؛ أن ما ذكره سليمان بن حرب عن سيرته الذاتية، يعزّز الرأيين السابقين، ويؤكد على صحتهما. وهكذا التقى الثّوري مع أبي الوليد وانضمّ إليهما سليمان بن حرب في تصنيف حمّاد بن زيد الذي وصفه الأئمة النقّاد في مرتبة شُعبة بن الحجاج، قبّان الرجال وغربال المحدّثين.

وفي وسط هذه المواقف والتصنيفات كان لوكيع بن الجراح رأيه الخاص، فعبّر عنه قائلاً: «ما كنّا نشبّه حمّاد بن زيد إلا بمسعر»[٢].

وخير ما نختم به هذا الجانب؛ بما ذكره عبد الله بن المبارك شعرًا في أهمية حمّاد بن زيد، وقدره في العلم والحلم، وحُسن السيرة التي جعلته مميّزًا عن غيره من كثيرٍ من المحدّثين. فقال:

أيُّها الطَّالبُ عِلْمًا
إيتِ حمَّادَ بنَ زَيْد

= ٣/ ١٠ ـ ١١.

(١) المعرفة والتاريخ، ١/ ١٧٠.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٨؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٩؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

فـأقــتَـبِـس عِــلــمًــا بــحــلــمِ
ثُــــمَّ قَــــيِّــــدْهُ بــــقَــــيْــــدِ[1]

كما أنشد أحمد بن منصور الشيرازي قصيدة طويلة اخترنا منها قوله:

عَــلَــيْــكُــمْ بــالــروايــاتِ الــلَّــواتــي
رَوَاهــــا مَــــالِــــكٌ أزكَــــى الــــرُّوَاةِ
وشُــعْــبَــةُ وآبْــنُ عَــمْــرٍو وابــنُ زَيــدٍ
وسُــفْــيــانُ: الــثِّــقَــاتُ عــن الــثِّــقَــاتِ[2]

(١) التاريخ الكبير، ٣/ ٢٥؛ قابل: ثقات العجلي (ص ١٣١)، وفيه الشطر الأول من البيت الثاني: «فاطلب العلم بحلم»، وكذلك الأمر نفسه في الحلية، (٦/ ٢٥٨)؛ وفي تقدمة الجرح والتعديل، (ص ١٧٩) «نقتبس حكمًا وعلمًا»؛ وفي (ص ١٨٠) «فاطلب العلم برفق»؛ وفي أعلام النبلاء، (٧/ ٤٥٩)، «نقتبس حلمًا وعلمًا»؛ وفي البداية والنهاية، (١٠/ ٧٩)، «فخذ العلم بحلم»؛ وفي العيون والحدائق، (٣/ ٢٩٧)، «تجد العلم فخذه».
- وفي حلية الأولياء، (٦/ ٢٥٨) زاد أبو نعيم بيتًا ثالثًا فقال:
لا كــثــور وكــجــهــم وكــعــمــرو بــن عــبــيــد
وثور: هو ثور بن يزيد، وجهم: هو جهم بن صفوان، والأول: من مشاهير القدرية، والثاني: رأس الجهمية، وعمرو بن عبيد: رأس المعتزلة.
- وفي البداية والنهاية (١٠/ ٧٩) زاد ابن كثير بيتًا مغايرًا، فقال:
وذر الــبــدعــة مــن آثــار عــمــرو بــن عــبــيــد

(٢) شرف أصحاب الحديث، ص ٦٢ - ٦٤.

ويبقى أن نشير إلى أن أهمية ابن زيد قد استمرت في سلالته، التي ظلّت تنشر العلم والفكر والفقه في أرض العراق. فذكر صاحب العيون والحدائق[1] أن قضاة بغداد كانوا من ولده: إسماعيل بن إسحٰق بن حمّاد بن زيد، ويوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حمّاد، وأبو عمر القاضي محمد بن يوسف بن يعقوب.

كما جاءت الكتابات المتأخرة للتغنّي بأقوال تزكّي حمّاد بن زيد وتوثّقه وتجعله أحد أركان الدين ومن المعوّل عليهم، لأنه لم يترك مثله في الإسلام. فحينما تحدّث الذهبي عن موته وموت الإمام مالك بن أنس قال: «فلقد كانا رُكْنَي الدين، ما خلَفَهُما مِثلُهما»[2].

٣ ـ مقارنة بين الحمّادين استنادًا لشهادات معاصريهما:

بعد أن بحثنا في السِّيرة الذاتية لكلٍّ من الإمامين الجليلين: حمّاد بن سلمة بن دينار، وحمّاد بن زيد بن درهم، يجدر بنا أن نُفاضل بينهما، أو بالأحرى، نُجري مقارنة موضوعية ومعمّقة بينهما، على أن نتناول فيها شتى النواحي التي تُظهِر أهمية كلٍّ منهما، وبالتالي ما يتميز به واحدهما عن الآخر، على أن نعتمد في ذلك على مواقف وأقوال أئمة الحديث؛ من حيث سماتهما

(١) مؤلف مجهول، ٣/ ٢٩٧؛ قابل: تهذيب ابن حجر، ٤/ ١٧٩.
(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٢.

العامّة والخاصّة، بما في ذلك براعتهما في الحديث والتثبّت فيه، وتخصّصهما في بعض الرجال، وما هنالك من مظاهر علمية وفكرية.

ولعل أبرز ما نبدأ به في هذا الخصوص؛ هو ظاهرة الحفظ والإتقان واستمساك الذاكرة، التي تعتبر العامل الأبرز، بل المِدماك الأساسي الذي يُعَوّل عليه في علم الحديث. وقد أفادنا في هذا المضمار علي بن المديني، وهو إمام أهل الحديث، فقال في تمكّنهما: «أثبت أصحاب ثابت ـ يعني البناني ـ حمّاد ثم سليمان، ثم حمّاد بن زيد وهي صحاح»[1].

غير أن أبا زُرعة يتناول قضية التثبّت والإتقان بشكل عامّ من دون أن يعنيه أمر التخصّص فيه، فنجده يتحمس لحمّاد بن زيد ويدافع بشدة عن قدراته العلمية؛ فلما سُئل عن حديث الحمّادين، قال: «حمّاد بن زيد أثبت من حمّاد بن سلمة بكثير، وأصحّ حديثًا وأتقن»[2]. وانضم يحيىٰ بن معين إلى الفريق المُدافع عن ابن زيد وعبّر عن رأيه بقوله: «حمّاد بن زيد أثبت من حمّاد بن سلمة»[3].

وكذلك هو الحال بالنسبة ليزيد بن زُرَيْع[4] الذي لم يقلّ

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٥.
(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٢؛ الجرح والتعديل، ٣/ ١٣٩، ٣/ ١٣٩؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١.
(٣) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ١٨٨.
(٤) هو يزيد بن زريع العيشي، أبو معاوية البصري الحافظ، متفق على توثيقه، =

حماسًا عن غيره في تأييده لابن زيد، فلما سُئِل أيّ الحمّادين أثبت في الحديث؟ قال: «حمّاد بن زيد، وكان الآخر رجلاً صالحًا»[1]. ولمّا وجّه السؤال عينه إلى يعقوب بن شيبة[2]، قال: «حمّاد بن زيد أثبت من ابن سلمة، وكلٌّ ثقة، غير أن ابن زيد معروف بأن يُقصر في الأسانيد ويُوقف المرفوع، كثير الشك بتوقّيه وكان جليلاً»[3].

وأما بالنسبة لحفظ الأحاديث، فقد صرّح مقاتل بن محمد قائلاً: «سمعتُ وكيعًا[4]، وقيل له: حمّاد بن زيد كان أحفظ أو حمّاد بن سلمة؟ فقال: حمّاد بن زيد. ما كنّا نشبه حمّاد بن زيد إلا بمسعر»[5].

والمُلاحَظ؛ أن موقف الإمام أحمد بن حنبل كان متأرجحًا بين الحمّادين؛ ففي حين كان يقبلهما معًا ويوثّقهما ويقول: «ما منهما إلا ثقة»[6] عاد ليقول على مَسمَع من ابنه عبد الله: «حمّاد

= أخرج له الجماعة، مترجم في: (التهذيب، ١١/ ٣٢٥).

(١) الجرح والتعديل، ٣/ ١٣٨؛ التقدمة، ص ١٨١؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠ ـ ١١.

(٢) يعقوب بن شيبة، لم أعثر على ترجمة له في المصادر المتوفرة لديّ.

(٣) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١.

(٤) هو وكيع بن الجراح، أبو سفيان الكوفي، متفق على توثيقه، وهو من حفّاظ الحديث، ورجل أديب، وعابد صالح. (تاريخ الثقات، ص ٤٦٤).

(٥) تقدمة الجرح والتعديل، ١٧٧ ـ ١٧٨؛ قابل: طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.

(٦) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٢.

ابن زيد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام، وهو أحبّ إلينا من حمّاد بن سلمة»[1]، وقال في موضع آخر مُشيرًا إلى الفضل بينهما: «حمّاد بن سلمة بن دينار، وحمّاد بن زيد بن درهم، الفضل بينهما كفضل الدينار على الدرهم»[2]، وهكذا فضّل الإمام أحمد حمّاد بن زيد، في أول الأمر، ثم عاد ليفضّل ابن سلمة، وأحسبه فعل ذلك لفضل ابن سلمة وتديّنه وورعه.

ولعل الرأي الأخير للإمام أحمد كان له صدىً بين المحدّثين، فتقبله البعض منهم وتحمسوا لتأييده، قال عبد الله بن معاوية الجُمَحي[3]: حدَّثنا الحمّادان، وفضل ابن سَلَمة على ابن زيد، كفضل الدينار على الدرهم ـ يعني الذي اسمُ جدّه دينار أفضلُ من حمّاد بن زيد، الذي اسم جدّه درهم ـ»[4].

وقد علّق ابن حبّان البستي على هذا الموقف من الحمّادين، فقال في الثقات: «وقد وَهِمَ مَنْ زعم أن بينهما كما بين الدينار والدرهم، إلا أن يكون القائل أراد فضل ما بينهما مثل الدينار والدرهم في الفضل والدين لأن حمّاد بن سلمة كان أفضل

---

(١) الجرح والتعديل، ٣/ ١٣٨، التقدمة، ص ١٧٧؛ تذكرة الحفّاظ، ١/ ٢٢٨؛ تهذيب ابن حجر، ٣/ ١٠.

(٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٥٩٢.

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن موسى بن نشيط الجُمحي، روى عن وهيب بن خالد وصالح المري، روى عنه محمد بن الحارث المخزومي المدني. (الجرح والتعديل، ٥/ ١٧٨).

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧.

وأدين وأورع من حمّاد بن زيد»[1]. وهذا يعني أن ابن حبّان قد فضل حمّاد بن سَلَمَة على ابن زيد في «الفضل والدين والورع» من دون أن يتطرّق إلى النواحي الفكرية.

كما ألقى الذهبي الأضواء على ذلك ولفت النظر إلى أهمية ابن زيد العلمية، فقال معلّقًا على ما ذكره عبد الله الجمحي عن الحمّادين: «وهذا ـ الرأي ـ محمول على جلالته ـ أي ابن سلمة ـ ودينه، وأما الإتقان، فمسلّم إلى ابن زيد، هو نظيرُ مالك في التثبُّتِ»[2].

أما ابن أبي الوفا القرشي، فنجده داعِمًا لموقف الجُمحي من دون أن يتطرّق إلى تفسيرات وإيضاحات كما فعل ابن حبّان والذهبي، فقال: «ولقد ألطف عبد الله بن معاوية حين قال: «...فضل ابن سلمة على ابن زيد كفضل الدينار على الدرهم»[3]. وفي اعتقادي أن القرشي قد اتخذ هذا الموقف الصارم من ابن زيد لأن هذا الأخير كانت له مواقف صلبة من الإمام أبي حنيفة كما بيّنّا سابقًا[4]. وبطبيعة الحال؛ فإن الإساءة إلى أبي حنيفة تُسيء إلى مؤيّدي المذهب الحنفي والقرشي من ضمن هؤلاء القوم.

والواضح أيضًا أن ابن العماد الحنبلي كان مؤيّدًا لحمّاد بن

(١) تهذيب ابن حجر، ٣/ ١١. (٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٤٧.

(٣) شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢.

(٤) راجع موقف حمّاد بن زيد من أبي حنيفة، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

سلمة فزكّاه بقوله: «هو أحد الحمّادين وأجلّهما صاحبيّ المذهبين، أحدهما هذا، والثاني حمّاد بن زيد بن درهم»[1].

ولو تركنا هذه المواقف بما فيها من تأييد لهذا ومعارضة لذاك، نجد أن هشام بن علي قد عالج القضية من زاوية أخرى، فأعطى كل واحد من الحمّادين حقه، مرتكزًا في ذلك على ما كان يقال فيهما من حيث العلم والعقل، فقال: «كانُوا يقولون: كان عِلم حمّاد بن سلمة أربعة دوانق[2]، وعقلُه: دانقين، وعلم حمّاد بن زيد دانقين، وعقلُه أربعة دوانق»[3].

وبحسب هذه المقولة؛ فقد تفوّق ابن سلمة في علمه على ابن زيد، في حين تفوّق ابن زيد في فكره على ابن سلمة، وبالنتيجة؛ فقد أصبح الرجلان وفق شهادة هشام بن علي، وجهًا لوجه في كفّتي الميزان.

كما أيد عبيد الله بن الحسن قضية المساواة بين الحمّادين، ودعا طلاب الحديث لأخذ العلم عنهما، لأنهما على مستوى كبير من الدراية والمعرفة بصناعتهما، فقال: «إنما هما الحمّادان،

---

(١) شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢.

(٢) الدانق: سدس الدرهم، والدرهم: فارسي مُعَرَّب وهو جزء من أربعين جزءًا من الأوقية لأن الأوقية في الحديث (٤٠) درهمًا، أما في زمن الرازي (٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م) فقد أصبحت الأوقية عشرة دراهم وخمسة أسباع الدرهم. (مختار الصحاح، ص ٢١٢، ٢٠٤، ٧٣٣).

(٣) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦١.

فإذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمّادين»[1].

وفوق ذلك؛ لكي نلمّ بدراسة هذه الناحية؛ لا بدّ من الإشارة إلى القواسم المشتركة التي كانت تجمع ما بين الحمّادين، من حيث علم الرواية، بما فيها: ذكر أسماء شيوخهما معًا، وشيوخ كلٍّ منهما على حِدَة، وبالتالي كيفيّة التمييز بينهما إبّان إسناد الأحاديث.

ولا ريب؛ أن الذي حَدَا بنا إلى هذا الأمر؛ أن الحمّادين قد اشتركا في الرواية عن كثيرٍ من المشايخ، وروى عنهما جميعًا جماعة من المحدِّثين، فربما روى الرجل منهم عن حمّاد، لم ينسبْه، فلا يُعرَف أيُّ الحمّادين هو إلا بقرينه، فإن عَرِيَ السَّند من القرائن ـ وذلك قليلاً ـ لم نقطع بأنه ابنُ زيد، ولا أنه ابنُ سَلمة، بل نتردد أو نقدّره ابن سَلمة، ونقول: هذا الحديث على شرط مسلم. إذ مسلم قد احتجّ بهما جميعًا. لذا أجد من الهامّ جدًّا أن أذكر أبرز شيوخهما على الاشتراك أولاً، ثم على التخصّص.

فمن شيوخهما معًا: أنس بن سيرين، وأيوب السختياني، والأزرق بن قيس، وإسحٰق بن سويد، وبُرد بن سنان، وبشر بن حرب، وبَهْز بن حكيم، وثابت البناني، والجَعْد أبو عُثمان، وحُميد الطّويل، وخالد الحَذّاء، وداود بنُ أبي هِند، والجُرَيري،

---

(١) الجرح والتعديل، ٣/١٣٨؛ التقدمة، ص ١٧٥؛ تهذيب النووي، ص ٢١٨؛ طبقات الحفّاظ، ص ١٠٣.

وشُعيب بن الحبحاب، وعاصم بن أبي النَّجود، وابن عَون، وعُبيد الله بن أبي بكر بن أنس، وعُبيد الله بن عُمر، وعطاء بن السَّائب، وعلي بن زيد، وعمرو بن دينار، ومحمد بن زياد، ومحمد بن واسع، وقطر الورّاق، وأبو جَمرة الضُبَعي، وهشام بن عُروة، وهشام بن حسَّان، ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري، ويحيىٰ ابن عتيق، ويونُس بن عُبيد[1].

وحدّث عن الحمّادين: عبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، وعفّان بن مسلم، وحجاج بن مِنهال، وسُلمان بن حرب، وشَيبان بن فَرُّوخ، والقَعْنَبي، وعبد الله بن معاوية الجُمَحِي، وعبد الأعلى بن حمّاد، وأبو النُّعمان عارم، وموسى ابن إسماعيل ـ لكن ليس له عن ابن زيد سوى حديث واحد ـ، ومؤمل بن إسماعيل، وهُدْبَة بن خالد، ويحيىٰ بن حسَّان، ويونس بن محمد المؤدِّب، وغيرهم[2].

والحفّاظ المختصّون بالإكثار، وبالرواية عن حمّاد بن سلمة هم: بَهْزُ بن أسد[3]، وحِبَّانُ بن هلال، والحسن الأشيب، وعمر ابن عاصم[4].

وأما المختصّون بحمّاد بن زيد، الذين ما لحقوا ابن سَلمة،

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ٧/ ٤٦٥.

(٣) خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

(٤) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٥.

فهم أكثر وأوضح: كعليّ بن المديني، وأحمد بن عَبْدة، وأحمد ابن المِقْدام، ويشر بن مُعاذ العَقَدي، وخالد بن خِدَاش، وخَلَف ابن هشام، وزكريا بن عديّ، وسعيد بن منصور، وأبي الرَّبيع الزَّهراني، والقواريري، وعَمرو بن عَون، وقُتيبة بن سعيد، ومحمد بن أبي بكر المُقَدَّمي، ولوين، ومحمد بن عيسى بن الطَّبَّاع، ومحمد بن عُبيد بن حِساب، ومُسَدَّد، ويحيىٰ بن حبيب، ويحيىٰ بن يحيىٰ التميمي، وعدّة من أقرانهم(١).

والجدير ذكره؛ أن الباحثين في علم الحديث، وسائر المهتمّين بصحة الأسانيد، إذا وجدوا أن المحدّث من الطبقة الأخيرة المختصّة بابن زيد، قد روى عن حمّاد وأبهمه، علمنا أنه ابن زَيْد، لأن هذا المحدّث لم يُدرك حمّاد بن سلمة، وكذلك هو الحال؛ إذا روى رجل ممّن لقيهما، فقال: حدَّثنا حمَّاد، وسكتَ، نظرنا في شيخ حمَّاد مَن هو. فإن رأيناه من شيوخهما على الاشتراك، ترددنا، وإن رأيناه من شيوخ أحدهما على الاختصاص والتفرّد عرفناه بشيوخه المختصّين به.

إلى جانب ذلك؛ فقد دَرَجَت العادة عند عفان بن مسلم أنه لا يروي عن حمّاد بن زيد إلا وينسبه، وربما روى عن حمّاد بن سَلَمة فلا ينسبه، وكذلك يفعلُ حَجَّاج بن مِنهال، وهُدْبة بن خالد فأما سليمان بن حرب فعلى العكس من ذلك، وكذلك عارِم يفعل، فإذا قالا: حدّثنا حمَّاد، فهو ابن زيد، ومتى قال موسى

---

(١) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٥ .

التَّبُوذكي: حدّثنا حمّاد، فهو ابن سلمة، فهو راويته[1].

ومجمل القول؛ فلكي نُحسِن استعمال الأسانيد في حالة اشتراك أسماء الرجال، سواء في الحمّادين أو السُّفيانَين (الثَّوري، وابن عُيينة) ـ علينا الإلمام، بل المعرفة المعمّقة بطبقات الرجال، فمثلاً: أصحاب الثّوري كبار وقدماء، وأصحاب ابن عُيينة صِغار، لم يدركوا الثّوري، وذلك أوضح، فمتى رأينا القديم قد روى، فقال: حدّثنا سُفيان، وأبهم، فهو الثّوري، وهم: ابن مهدي ووكيع، والفريابي، وأبي نُعيم. فإن روى واحد منهم عن ابن عُيينة بيَّنه، فأما الذي لم يَلْقَ الثّوري، وأدرك ابن عيينة، فلا يحتاج أن ينسبه لعدم الإلباس.

وفي نهاية هذه المقارنة بين الحمّادين؛ لا أجد حَرَجًا في ذكر أهميتهما عند كبار القوم، مع لفت النظر إلى أن هذه الرّفعة التي حَظِيا بها لم تقف عندها فحسب وإنما تعدّتهما لتشمل معظم رجال الحديث، بخاصّة الشرفاء منهم الذين تغنّى بهم «الخطيب البغدادي» في كتابه الشهير «شرف أصحاب الحديث».

فيُروى: أنه لما فتح الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد بلاد مصر، قام فَرَج الأسود فقال: «الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي كفاك أمر عدوّك، وأدان لك العراقين والشامات ومصر، وأنت ابن عمّ رسول الله (ﷺ)، فقال له: «ويحك يا فرج! إلا

---

(١) تاريخ الثقات، ص ١٣١؛ أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٠ ـ ٤٦٦؛ قابل: خلاصة تهذيب الكمال، ص ٧٨.

أنه بقيتْ لي خلّةٌ، وهو أن أجلس في مجلس، ومستملي يجيء، فيقول: مَنْ ذكرتَ رضي الله عنك؟ فأقول: حدّثنا الحمّادان: حمّاد بن سلمة بن دينار، وحمّاد بن زيد بن درهم، قالا، حدّثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ)، قال: «مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أو ثلاثًا، أو أُخْتَين أو ثلاثًا حَتَّى يَمُتْنَ، أو يمُوتَ عَنْهُنَّ، كانَ مَعي كهاتَيْنِ في الجَنَّةِ، وأشار بالمسبّحة والوسطى»[1].

---

(١) شرف أصحاب الحديث، ص ٩٨ ـ ٩٩. (وقد علّق الخطيب البغدادي على ذلك بقوله: «في هذا الخبر غلط فاحش، ويشبه أن يكون المأمون رواه عن رجل، عن الحمادين. . . .».

خـــاتمة

من خلال البحث في تاريخ الحمّادين؛ والذي شمل فترة زمنية امتدت قرابة التسعة عقود، حيث بدأت بولادة حمّاد بن سلمة سنة ٩١/ ٧١٠، وانتهت بوفاة حمّاد بن زيد سنة ١٧٩/ ٧٩٥، تمكّنت، وإلى حدٍّ معقول وِفق ما حفظته المصادر من معلومات، من الكشف عن سيرتهما الذاتية، والتي بدأت بكفاحهما من أجل تحصيل العلم، وبالتالي صراعهما مع القضايا والمشكلات الاجتماعية، وانتهت بتربّعهما على سُدّة علم الحديث، ليُكمِلا بذلك رسالة السّلف الصالح في المحافظة على نقاء أحد ركنيّ الدين الإسلامي، إلا وهو حديث رسول الله (ﷺ)، والذي يأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم.

فبالنسبة لحمّاد بن سلمة، عالِم أهل البصرة وشيخها في الحديث والعربية والفقه، ركّزت على حُسْنَ ظنّ العلماء فيه؛ حتى اعتبروه رمزًا للمسلم الحقّ، الذي لا يُطعَن في إسلامه وحُسْن خُلقه، فهو من عبّاد أهل البصرة ومُتقِنِيهم، فقد لزم العبادة والعلم والورع ونصرة السُّنّة والطّبق على البدع. ولقد ميّزناه عن غيره من العباد: بمواظبته على الخير، وتلاوته للكتاب العزيز، وعمله بإخلاص لله عز وجل، ولهذا أصبح

صاحب دعوة مُستجابة، وذِكْر من بين الأبدال الذين لا تخلو الدنيا منهم، فإذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر.

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد بيّنت، استنادًا إلى رأي كبار النقّاد، أن حمّاد بن سلمة كان أحسن حديثًا من سيّد الحفّاظ سفيان بن سعيد الثّوري، وكان أيضًا؛ أفضل من سعيد بن أبي عروبة في حُسن الحديث، وفي الحفظ والإتقان والتزام السُّنّة الشريفة، وفوق ذلك؛ فهو أعلم الناس في ثابت البناني وخاله حُمَيد الطويل وعمّار بن أبي عمّار، حتى أن شُعبة بن الحجّاج سيّد المحدّثين كان يستفيد من علمه بخاصة في حديث عمّار وناهيك بالإمام المجاهد عبد الله بن المبارك الذي كان يعترف بفضله وأُستاذيّته ويقول عنه: «معلّمي»!.

وقد عزّزت هذه المعطيات بالكشف عن عدد أحاديث ابن سلمة والتي بلغت العشرة آلاف، وأيضًا باهتمامه بالتصانيف العلمية التي لم تحفظ لنا المصادر سوى اسم كتاب «السُّنن» لكل هذه الاعتبارات أصبح حمّاد بن سلمة رأسًا في الحديث والفقه، وحمل عن جدارة لقب «الإمام القدوة» ونال شرف ثقة وتزكية الإمام الناقد يحيىٰ بن معين، والإمام أحمد بن حنبل والعجلي والنسائي وغيرهم، كما اعتبره علي بن المديني «حجة» وأيّده في ذلك المؤرّخ شمس الدين الذهبي.

غير أن أهم الألقاب العلمية التي حَظِيَ بها ابن سلمة، إلى جانب ألقابه السابقة التي نوّهنا بها: هو لقب: «سيّد أهل

زمانه» ولقب «أمير المؤمنين» وهذه هي أهم الألقاب التي كان يطمح إليها أئمة الحديث أمثال: الثّوري، وشُعبة وغيرهما من أعلام الأمة.

وأما بخصوص حمّاد بن زيد؛ الإمام العَلَم، الحافظ الثّبْت، محدّث وقته والمُجمَع على جلالته، فقد بيّنت أنه لم يكن ضريرًا منذ ولادته ولكن العمى طرأ عليه، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر يمارس مهمته، وفي الوقت نفسه حافظ على توازنه، وتمسك بموقعه بين المحدّثين، حتى نال ثقة معاصريه، وذكره أصحاب التصانيف بكل جميل، فقال فيه الذهبي: «لا أعلم بين العلماء نزاعًا، في أن حمّاد بن زيد من أئمة السَّلَف، ومن أتقن الحفّاظ وأعدلهم، وأعدمهم غلطًا...» والأكثر من ذلك فإنه لم يكن له كتاب، وكان حديثه، الذي يحفظه عن ظهر قلب، أربعة آلاف حديث.

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد أثبت أن ابن زيد كان على دراية واسعة وعلم ثابت برواة الآثار وناقلة الأخبار، حتى أنه كان يصدر حكمه المبرم في الرجال، من غير أن يُراجع في ذلك؛ كما كان يشجّع طلاب الحديث على سماع بعض المحدّثين وترك البعض الآخر منهم؛ لأنهم غير جديرين بصناعتهم، وعزى ذلك لضعف فيهم، أو لكذب وتدليس كانا يشوّهان الحديث الشريف.

ومما جعل حمّاد بن زيد مَفخَرَة زمانه؛ أن يحيىٰ بن معين كان يراه أثبت من جمهرة أئمة الحديث، أمثال عبد

الوارث العنبري، وإسماعيل بن عُلية، وسفيان بن عُيينة وغيرهم. كما أنه أجلّ أصحاب أيوب السختياني، فهذه المزايا وغيرها أهّلته لأن يحمل لقب «الإمام البارع» و«الإمام العَلَم» بل هو أحد الأئمة الأربعة المعوّل عليهم في زمانهم، فذكر في مصافّ سفيان الثّوري، ومالك بن أنس والأوزاعي. ونظرًا لأهميته في الاجتهادات الفقهية فقد جاءت على ذكره الكتب المختصّة بطبقات الفقهاء، كما شبّهوا فقهه بفقه بعض الخلفاء الراشدين وجعلوا أدبه كأدب الملوك والأكاسرة، وهذه الصفات لم يسبق أن ذكرت لأحد غيره من الفقهاء والمحدّثين إذا ما استثنينا العترة الشريفة.

إلى جانب ما بيّناه عن ابن زيد؛ وجدنا أن النقّاد قد جعلوا إليه المنتهى في التثبّت والإتقان، كما وثّقه أصحاب الطبقات والتواريخ أمثال: ابن سعد، والعجلي، ولعل هذه التزكية التي نالها الرجل لا تقتصر على تضلّعه في علم الحديث فحسب، فربما شملت نشاطاته الاجتماعية والدينية وأهمها مجابهته لأهل البِدَع.

وأما بالنسبة لنشاطه السياسي، فقد تجاهلت المصادر ذكر كل ما له علاقة بهذا الجانب، ولعل ابن زيد هو الذي كان هامشيًا في تعاطيه مع الساسة وحكّام الأمة. كما أنه لم يكن مشاركًا هو وقرينه حمّاد بن سلمة في الأحداث السياسية والعسكرية التي شهدتها مدينة البصرة إبّان ذلك، وإذا صح هذا

الرأي لا بدّ من تسجيله كمأخذ على الحمّادين، اللذين شَهِدا كغيرهما من أئمة الحديث[1] زوال دولة بني أمية، وقيام دولة بني العباس، كما عايشا عن قرب أحداث الثورات العلوية التي ناهضت حكم العباسيين، وعلى الرغم من ذلك؛ لم يتدخلا من قريب أو بعيد في مُجريات الأمور السائدة على الساحة الإسلامية.

وبما يخص نشاط ابن زيد الاجتماعي والديني، فإنني أجد شُحًّا واضحًا في المصادر التي اهتمت فقط بإبراز دوره في مواجهة أهل البِدَع، وفي هذا المجال لا بدّ من الإشارة إلى تحامل ابن زيد على الإمام أبي حنيفة على الرغم من جلالة هذا الأخير باعتباره من أصحاب المذاهب المتّبعة، وإنني لا أجد تفسيرًا واضحًا لذلك؛ سوى التباين في المواقف وما ينتج عنه من خلاف حول بعض الاجتهادات الفقهية أو القضايا المذهبية.

مهما يكن من أمر، فإن حمّاد بن زيد ترك أثرًا جميلاً بين معاصريه، لذا ذكّروه بما يليق به ويخلد ذكراه على مرّ الزمان فهو بنظر البعض منهم من عُقلاء الناس؛ ومن سادات المسلمين، وهو أيضًا؛ شيخ الشباب، فلهذه الصفات وغيرها كان أئمة الحديث يُحسِنون تقديره، أمثال: الإمام مالك بن أنس

---

(١) انظر كتابنا: سفيان الثوري، ص ٤٨ ـ ٤٩. ٥١ ـ ٥٢؛ وشُعبة بن الحجاج، ص ٤٨.

الذي كان يسأل عنه ويتتبّع أخباره، وكذلك الإمام الثوري الذي كان يبالغ في تبجيله، حتى شوهد، وبشهادة ابن عيينة، جاثيًا بين يديه وهو يستمع إلى أحاديثه.

والجدير ذكره؛ أنه حصل شبه إجماع بين أئمة الحديث عندما أرادوا تصنيف حمّاد بن زيد، وقد جاءت آراؤهم منسجمة حينما اعتبروه خليفة شُعبة بن الحجاج، فهو بنظرهم لا يقلّ عن شُعبة في حفظه وإتقانه وحُسْن حديثه، والأهم من ذلك؛ هو وارث شُعبة في جرح الرجال وتعديلهم. وهذا برأيي المتواضع، وِسام شرف ناله حمّاد بن زيد من سفيان الثوري سيّد الحفّاظ وأمير المؤمنين في الحديث، ومن أبي الوليد الطيالسي، شيخ الإسلام وأمير المحدّثين.

والجدير بالذكر؛ أن دراسة «أعلام الفقهاء والمحدّثين» تتضمن في جوهرها دعوة مخلصة لاستخلاص العبرة من سِيرتهم، وصراعهم مع الحياة، ونضالهم من أجل إرساء قواعد الحديث الشريف.

ولا أُغالي إذا قلت: إن البحث في «تاريخ الرواة» له أهمية كبيرة، لأنه يساعد على معرفة الصلة الزمنية بين مختلف الرواة، ويوضح العلاقة بينهم، وبين الأقرب منهم إلى عصر الرسول (ﷺ)، كما أسمح لنفسي بالقول: إن هذه الدراسات متصلة بعلم الرجال؛ وهو علم مهم ومعقّد، فأما أهميته فتأتي من الصلة الوثيقة بين الرجل وآرائه، وأما التعقيد فقد جاء من العدد الهائل للرجال الذين اشتغلوا بالحديث وروايته، مما أدى إلى

الارتباك في ضبط أسماء بعضهم وصدور أحكام متباينة من العلماء في حق البعض منهم، غير أن كل هذا لا يقلّل من الأهمية البالغة لدراسة الرجال لمساهمتها في الكشف عن هوية الأعلام منهم، وبالتالي تحقيق التقدّم الكبير في ضبط علم الحديث وانعكاساته الإيجابية في تقدّم علم التاريخ ودراسته.

يبقى أن نشير؛ إلى أن هذا الجانب من الفكر الإسلامي لم يَحْظَ بالعناية التي يستحقها على الرغم من أهميته وخطورته؛ لأنه يتطلب الصبر والأناة والدقّة والأمانة، وفوق ذلك كله: الإيمان بأهمية العمل دون أيّ اعتبارات أخرى مع توخّي الكشف عن الحقيقة العلمية.

من هذا المنطلق وبكل تواضع، إنني أضع بين يدي الباحثين والقرّاء العرب، أول كتاب يتناول «تاريخ الحمّادين» بعد أن كانت أخبارهما متناثرة في المصادر الأصيلة التي لا يتسنى للقارىء غير المتخصّص الاطّلاع عليها. راجيًا أن أكون قد بلغت رسالتي التي تُذَكّر دائمًا بأن الورعين من جمهرة الفقهاء والمحدّثين الذين كانوا يحدّثون احتسابًا لوجه الله عز وجل أمثال: حمّاد بن سلمة، وحمّاد بن زيد ومن قبلهما الثوري وشُعبة وغيرهم، هم الذين ملأوا وجه الأرض علمًا وعملاً بسُنّة رسول الله (ﷺ). ولقد كانوا في كل زمان ومكان أكثر من أن يخفوا، وأجلّ آثارًا من أن يُهملوا، وأقوى نفوسًا من أن يسدل عليهم التاريخ ستار النسيان.

ولا شك؛ إن المهتمين بدراسة التاريخ والحديث وعلم الرجال، سيجدون في مساهمتهم بدراسة «أعلام الفقهاء والمحدّثين» إرضاءً لطموحاتهم وتحقيقًا لأهدافهم النبيلة التي تبغي البحث عن الحقيقة والمساهمة في صناعة التاريخ.

ملحق رقم (١)

أحاديث مختارة رواها حمّاد بن سلمة بسنده عن رسول الله (ﷺ)

* حمّاد بن سلمة، عن ثابت، بسنده مرفوعًا إلى النبي (ﷺ) أنه قال: «إن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مَدْرَجَته مَلَكًا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أردت أخًا لي في قرية كذا وكذا. قال: هل له عليك من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، إلاّ أني أحبه في الله. قال: إني رسول الله إليك أن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[1]. قال الذهبي: «وهو من أحاديث الصفات التي تمر كما جاءت[2] وشاهده في القرآن وفي الحديث كثير» قال الله تعالى: ﴿قُلْ إنْ كُنتُم تُحبونَ الله فاتَّبعُوني يُحببكُمُ الله﴾[3]. وقال عز وجل: ﴿واتَّخَذَ الله إبراهِيمَ خَلِيلاً﴾[4].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه، في البرّ والصلة: باب في فضل الحب في الله، حديث رقم (٢٥٦٧) ط. بولاق، ١٢٩٠. و«المدرجة»: الطريق. سُمّيت بذلك لأن الناس يدرجون عليها، أي يمضون ويمشون. وقوله: «تربها»، أي: تقوم بإصلاحها وحفظها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥. (٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢٥.

* حدّث حمّاد بن سلمة بسنده عن ابن عُمر: «أن رسول الله (ﷺ)، قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِيْنَ﴾[1]. قال: يَقومون حتى يبلغ الرشْحُ أطراف آذانهم»[2]. رواه مسلم عن التمار[3].

* حدّث ابن سلمة عن أبي العُشراء[4]، عن أبيه، قال: قلت يا رسول الله! أما تكون الزكاة إلا من اللَّبَّةِ والحَلْقِ؟ فقال: «لو طعنت في فخذها لأجزأ عنك»[5].

* ابن سلمة بسنده عن ابن عباس: «أن النبي (ﷺ) خرج

---

(١) سورة المطففين، آية: ٦.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: في صفة يوم القيامة. حديث رقم (٢٨٦٢).

(٤) إسناده ضعيف لجهالة أبي العُشراء الدارمي، قال الميموني: سألت أحمد بن حنبل عن حديث أبي العُشراء في الزكاة، قال: هو عندي غلط، ولا يعجبني، ولا أذهب إليه إلا في موضع ضرورة، ما أعرف أنه يروي عن أبي العشراء حديث عدا هذا، وقال البخاري: عن حديثه، واسمه، وسماعه من أبيه «فيه نظر». (تهذيب ابن حجر، ١٢/ ١٦٧)؛ قابل الحلية، ٦/ ٢٥٧.

(٥) الحديث أخرجه أبو داود السجستاني في كتاب السُّنن، في «الأضاحي»: باب «ما جاء في ذبيحة المتردية (حديث ٢٨٢٥)، (ط. القاهرة، ١٢٨٠هـ)؛ وابن ماجة، كتاب السُّنن، في «الذبائح»: باب ذكاة الناد من البهائم، (حديث ٣١٨٤)، (ط. القاهرة: ١٣١٣ هـ)؛ والترمذي «كتاب السنن»، (حديث ١٤٨١)، (ط. بولاق، ١٢٩٢ هـ). والذكاة: الذبح. واللبة: وسط الصدر والمنحر.

من الخلاء فأكل، فقيل له ألا توضأت؟ فقال: أأصلي فأتوضأ»[1].

* ابن سلمة بسنده عن ابن مسعود: «كنّا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، فكان علي بن أبي طالب وأبو لبابة زميلي النبي (ﷺ)، قال: فإذا كان عقبة رسول الله (ﷺ) قالا: يا رسول الله اركب حتى نمشي عنك، فيقول: ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[2].

* وعن خِصال المنافق حدّث حمّاد بسنده عن رسول الله (ﷺ) قال: «ثلاث مَن كنّ فيه فهو منافق، وإن صام وإن صلّى وزعم أنه مسلم؛ مَن إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». تفرّد به منصور بن صغير أبو النضر عن ابن سلمة[3].

* وفي المحرّمات قال ابن سلمة بسنده عن رسول الله (ﷺ): «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ثم التوبة مفروضة»[4].

* وفي الحزن قال ابن سلمة بسنده أنه لما مات إبراهيم

---

(١) الحلية، ٦/ ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) نفسه، ٦/ ٢٥٥.

(٤) نفسه، ٦/ ٢٥٦.

ابن رسول الله (ﷺ)؛ صاح أسامة، فقال رسول الله (ﷺ): «ما هذا؟ ليس هذا منّا، ليس لصائح حظ؟ القلب يحزن، والعين تدمع، ولا نُغضب الرب»[1].

* وعن الزواج حدّث حمّاد بسنده عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «أعظم النكاح بركة؛ أيسره مؤنة»[2].

* وحدّث حمّاد بن سلمة، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حُصين قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا تزال طائفة من أمتي يُقَاتِلُونَ على الحق حتى تقوم الساعة»[3].

---

(١) الحلية، ٦/٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ٦/٢٥٧.

(٣) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٢٦.

ملحق رقم (٢)

بعض الأحاديث التي رواها حمّاد بن زيد بسنده عن رسول الله (ﷺ)

* حمّاد بن زيد، عن أيوب، عن أنس، قال: «ما رأيت أحدًا أرحم بالعيال من رسول الله (ﷺ)»[١].

* حدّث حمّاد بن زيد بسنده عن بلال: «أن النّبي (ﷺ) صلى بين العمودين، تلقاء وجهه في جوف الكعبة»[٢]. أخرجه مسلم[٣] عن الزهراني.

* وحدّث ابن زيد بسنده عن بلال أيضًا، قال: «صلّى رسول الله (ﷺ) في البيت»[٤]. وقال ابن عباس: «لم يصلِّ فيه، إنما كبّر في نواحيه»[٥].

---

(١) تاريخ يحيىٰ بن معين، ٢/ ٢١٠.

(٢) أعلام النبلاء، ٧/ ٤٦٣.

(٣) رقم: (١٣٢٩) (٣٨٩)، في الحج: باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره والصلاة فيها.

(٤) إسناده ضعيف.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦، في الحج: باب مَن كبّر في نواحي الكعبة، القاهرة: ط. بولاق، ١٣٠١ هـ؛ وأبو داود: حديث رقم: (٢٠٢٧).

* حدّث ابن زيد بسنده عن أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) كان إذا آوى إلى فراشه، قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وآوانا، فكم مَن لا كافيء له ولا مأوى». غريب من حديث حمّاد رواه عنه الأكابر والقدماء[1].

* ابن زيد بسنده عن رسول الله (ﷺ)، قال: «إن الله وكّل بالرحم مَلَكًا فيقول يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: يا رب أذَكَر أم أُنثى، شقيًّا أم سعيدًا، فما الرزق، فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه» صحيح ثابت من حديث حمّاد، متفق عليه[2].

* وفي قتال المسلم لأخيه المسلم قال بسنده عن النبي (ﷺ): «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار». صحيح من حديث حمّاد وأيوب، متّفق على صحته[3].

* حدّث ابن زيد بسنده عن ابن عباس أن الرسول (ﷺ) قال: «أدّوا صاعًا من طعام» ـ يعني في الفطرة. غريب من حديث حمّاد وأيوب[4].

* عن عذاب القبر قال مرفوعًا عن عائشة، قالت: «كان رسول الله (ﷺ) يتعوّذ من عذاب القبر، ومن فتنة الأعور[4].

---

(١) الحلية، ٦/ ٢٦٠.

(٢) المكان نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ٦/ ٢٦٢.

(٤) الحلية، ٦/ ٢٦٢.

* وعن الحياء حدّث ابن زيد بسنده أن الرسول (ﷺ)، قال: «الحياء خير كله»[1].

* وفي حسنات تلاوة القرآن قال بسنده عن النبي (ﷺ)، قال: «مَن قرأ حرفًا من كتاب الله كتب الله له عشر حسنات، أما إني لأقول الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، ثلاثون حسنة»[2].

* وعن زواج الرسول (ﷺ) بصفية قال ابن زيد بسنده عن أنس بن مالك: «أعتق رسول الله (ﷺ) صفية وجعل عتقها صداقها»[3].

* وبخصوص ترك الصلاة حدّث عن أنس أن الرسول (ﷺ) قال: «أول ما تفقدون من دينكم الصلاة»[4].

* وعن الضيف؛ حدّث بسنده أن رسول الله (ﷺ) قال: «حق الضيف على مَن يَضِفْه ثلاث فما أكثر من ذلك فهو صدقة، فليرتحل الضيف عنهم ولا يؤثمهم»[5].

* وفي الدعاء حدّث بسنده عن النبي (ﷺ) قال: «مَن رأى مُبتَلي فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضّلني عليك وعلى كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، إلا صرف الله عنه ذلك الدّاء كائنًا ما كان»(٥).

---

(١) الحلية، ٦/٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ٦/٢٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ٦/٢٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ٦/٢٦٥.

(٥) المصدر نفسه، ٦/٢٦٥.

* وفي إصلاح ذات البين حدّث ابن زيد بسنده عن النبي (ﷺ) قال: «لم يكذب مَن نمّى خيرًا، أو قال خبرًا ليُصلِح بين الناس»[1].

* وقال بسنده عن ابن مسعود إن الرسول (ﷺ) قال: «الدّالّ على الخير كفاعله»[1].

* وفي حُسْن المساعدة قال عن رسول الله (ﷺ): «مَن أنظر مُعسِرًا أو وهب له، أظلّه الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله»[1].

* وفي الدفاع عن شرف الحديث قال بسنده عن رسول الله (ﷺ)، إنه قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له. ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[2].

فهذه باقة من أحاديث الرسول الكريم التي ظلّت تتردّد على ألسنة رجال الحديث، فلعلها تبقى خير ميراث تتوارثه الأجيال فيذكّرهم بروح الرسالة، ويعرّفهم بجانب من «الخلق العظيم». وبالمناسبة، روى ابن زيد عن جرير بن حازم عن الأعمش قوله: «بينما ابن مسعود يومًا، ومعه نفر من أصحابه، إذا مرّ أعرابي، فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود: على ميراث محمد (ﷺ) يقسمونه»[3].

---

(١) الحلية، ٦/٢٦٦.

(٢) شرف أصحاب الحديث، ص ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.

تجدر الإشارة في نهاية هذه المختارات من أحاديث حمّاد ابن زيد، إلى أنه من المحيّر فعلاً، هو ما لفت ابن أبي حاتم النظر إليه، ومفاده؛ أن الإمام سفيان الثّوري كان يروي عن ابن زيد بعض الأحاديث من غير أن يسمّيه أو يكنّيه، وإنما اكتفى بالقول «عن رجل»، والحقيقة لم نجد تفسيرًا لهذا الأمر، سوى أن الثّوري تعمّد ذلك، بخاصة وأن الثّوري هو سيّد الحفّاظ ومن المهتمين بالإسناد وعلم الرجال ولا يمكن أن يفوته هذا الأمر.

* حدّث عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه عن قبيصة عن سفيان «عن رجل» عن عبيد الله بن أبي يزيد عن عبيد بن عمير، قال: «يحتجم المحرم ولكن لا ينزع شعرًا». أضاف عبد الرحمن؛ فسمعت أبي يقول: «يقال هذا الرجل حمّاد بن زيد»[1].

* حدّث عبد الرحمن قال: ذكره أبو زرعة قال: حدّثنا قبيصة عن سفيان عن رجل عن أنس بن سيرين قال: «كان عمر (رض) لا يجبّ بمَن لا يرث». قال أبو زرعة: هذا الرجل الذي روى عنه الثّوري عن أنس بن سيرين هو حمّاد بن زيد»[2].

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل، ص ١٨٣.

(٢) المكان نفسه.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ المصادر:

* القرآن الكريم.

* ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن إدريس (ت ٣٢٧ هـ/ ٩٣٨ م).

١ ـ **كتاب الجرح والتعديل**، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت) صورة بالأوفست عن طبعة دائرة المعارف العثمانية.

* ابن أبي الوفا، عبد القادر القرشي (٧٧٥/ ١٣٨٣).

١ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، ط ١، حيدر آباد: الدكن، مط. دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٢ هـ (وفي آخره ذيل الجواهر المضية).

* ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (٦٣٠/ ١٢٣٢).

١ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط. مصر، ١٢٨٥ هـ.

٢ ـ **الكامل في التاريخ**، بيروت: دار صادر، ١٩٨٢/ ١٤٠٢.

* ابن أعثم الكوفي، أحمد بن عثمان (٣١٤/٩٢٦).

١ ـ **كتاب الفتوح**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (٥٩٧/ ١٢٠٠).

١ ـ **صفة الصفوة**، بعناية إبراهيم رمضان وسعيد اللحّام، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩/١٩٨٩.

* ابن حبّان البستي، أبو حاتم محمد (٣٥٤/ ٩٦٥).

١ ـ **كتاب الثقات**، ط. حيدرآباد: الدكن، مط. دائرة المعارف العثمانية، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

٢ ـ **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، بعناية فلايشهمر، القاهرة: مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٩/١٩٥٩.

* ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٢/ ١٤٤٩).

١ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط. مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٨ هـ.

٢ ـ **تهذيب التهذيب**، حيدرآباد: الدكن. مط. دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ.

٣ ـ **لسان الميزان**، ط ٣، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦/١٩٨٦.

* ابن حزم، أبو محمد علي (٤٥٦/ ١٠٦٤).
١ ـ **جمهرة أنساب العرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣/ ١٤٠٢.
* ابن حمدون، محمد بن الحسين (٣٠٩/ ٩٢٢).
١ ـ **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس، ط ١، بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤.
* ابن حنبل، أحمد بن محمد (٢٤١/ ٨٥٥).
١ ـ **كتاب الورع**، دون دار نشر، دون تاريخ.
* ابن سعد، محمد بن منيع (٢٣١/ ٨٤٥).
١ ـ **كتاب الطبقات الكبرى**، بيروت: دار صادر، د.ت.
* ابن شاهين، عمر بن أحمد (٣٨٥/ ٩٩٥).
١ ـ **تاريخ أسماء الثقات ممّن نقل عنهم العلم**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.
* ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩/ ١٣٠٩).
١ ـ **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، بيروت: دار صادر، د.ت.
* ابن العربي، القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣/ ١١٤٨).
١ ـ **العَواصم والقواصم**، تحقيق محبّ الدين الخطيب، ط ٢، جدّة: دار السعودية للنشر، ١٣٨٧ هـ.

* ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحيّ (١٠٨٩/١٦٧٩).

١ ـ **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩/١٩٧٩.

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦/ ٨٨٩).

١ ـ **الإمامة والسياسة**، القاهرة: ١٣٢٧/١٩٠٩.

٢ ـ **كتاب المعارف**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

* ابن قنفذ القسنطيني، أحمد بن حسن بن الخطيب (٨٠٩/ ١٤٠٧).

١ ـ **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، ط ٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨.

* ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤/ ١٣٧٣).

١ ـ **البداية والنهاية في التاريخ**، بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠١/ ١٩٨١.

* ابن ماجه، محمد بن يزيد (٢٧٥/ ٨٨٨).

١ ـ **كتاب السُّنن**، طبعة القاهرة، ١٣١٣.

* ابن معين، يحيىٰ (٢٣٣/ ٨٤٧).

١ ـ **تاريخ يحيىٰ بن معين**، تحقيق عبد الله حسن، بيروت: دار القلم، (د.ت).

* ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم (٧١١/ ١٣١٢).

١ ـ **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، دار بيروت، (د.ت).

* ابن النديم، محمد بن إسحٰق (٣٨٥/ ٩٩٥).

١ ـ **كتاب الفهرست**، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

* ابن يزيد، أبو عبد الله محمد (٢٧٣/ ٨٨٦).

١ ـ **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد الحافظ، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.

* أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (٢٧٥/ ٨٨٨).

١ ـ **كتاب السُنن**، طبعة القاهرة، ١٢٨٠ هـ.

* أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (٤٣٠/ ١٠٣٩).

١ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠/ ١٩٨٠.

* الإسفرائيني، عبد القاهر البغدادي (٤٢٩/ ١٠٣٧).

١ ـ **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٣/ ١٩٩٣.

* الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦/ ٩٦٧).

١ ـ **كتاب الأغاني**، القاهرة: دار الكتب، ١٩٢٧.

٢ ـ **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧/ ١٤٠٨.

* البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦/ ٨٧٠).

١ ـ **كتاب التاريخ الكبير**، بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت).

٢ ـ **صحيح البخاري في (شرح فتح الباري)**، القاهرة: بولاق، ١٣٠١ هـ.

* البلاذري، أحمد بن يحيىٰ بن جابر (٢٧٩/ ٨٩٢).

١ ـ **فتوح البلدان**، بعناية رضوان رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨/١٣٩٨.

* الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩/ ٨٩٢).

١ ـ **كتاب السُّنن**، طبعة بولاق، ١٢٩٢.

* الجزري، أبو الخير محمد (٨٣٣/ ١٤٣٠).

١ ـ **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، بعناية ج. برجستراسر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.

* الجهشياري، محمد بن عبدوس (٣٣١/ ٩٤٢).

١ ـ **كتاب الوزراء والكتاب**، تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط ١، القاهرة، ١٣٥٧/ ١٩٣٨.

* الحميري، أبو سعيد نشوان (٥٧٣/ ١١٧٨).

١ ـ **الحُور العين**، تحقيق كمال مصطفى، ط ٢، بيروت: دار آزال للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣/ ١٠٧١).

١ ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

٢ ـ **شرف أصحاب الحديث**، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي، نشرة دار إحياء السُّنّة النبوية، (د.ت).

* الخزرجي، صفيّ الدين، أحمد بن عبد الله (٩٢٣/١٥١٧).

١ ـ **خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٢٢.

* خليفة بن خياط، أبو عمرو الملقب شباب العصفري (٢٤٠/ ٨٥٥).

١ ـ **كتاب التاريخ**، تحقيق أكرم ضيا والعمري، النجف: مطبعة الآداب، ١٣٨٦/ ١٩٦٧.

٢ ـ **كتاب الطبقات**، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

* الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢/ ٨٩٥).

١ ـ **الأخبار الطوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيّال، بغداد، مكتبة المثنى، (د.ت).

* الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (٧٤٨/١٣٤٨).

١ ـ **تذكرة الحفّاظ**، بيروت: دار الكتب العلمية، صورة بالأوفست عن طبعة حيدر آباد، ١٣٧٥/ ١٩٥٥.

٢ ـ **دول الإسلام**، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
٣ ـ **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحقّقين، بإشراف شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٦/١٩٨٦.
٤ ـ **العِبر في خبر مَن غَبَر**، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيّد، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣.
٥ ـ **المغني في الضعفاء**، تحقيق نور الدين عتر، (د.ت).
٦ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، ط ١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٣.

* الرازي، محمد بن أبي بكر (بعد ٦٦٦/١٢٦٨).

١ ـ **مختار الصحاح**، تحقيق لجنة من العلماء، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١/ ١٩٨١.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١/ ١٥٠٥).

١ ـ **طبقات الحفّاظ**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
٢ ـ **كتاب أسماء المدلسين**، تحقيق محمود نصّار، ط ١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢/ ١٩٩٢.

* الشيرازي، أبو إسحٰق (٤٧٦/ ١٠٨٣).

١ ـ **طبقات الفقهاء**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٧٠.

* الطبري، محمد بن جرير (٣١٠/ ٩٢٣).

١ ـ **تاريخ الأمم والملوك**، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.

* العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح (٢٦١/ ٨٧٤).

١ ـ **تاريخ الثقات**، باعتناء عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥/ ١٩٨٤.

* الفسوي، يعقوب بن سفيان (٢٧٧/ ٨٩٠).

١ ـ **كتاب المعرفة والتاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد: مطبعة الإرشاد، ٤٦٥/ ١٠٧٣.

* القشيري، عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥/ ١٠٧٣).

١ ـ **الرسالة القشيرية في علم التصوّف**، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).

* المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥/ ٨٩٨).

١ ـ **كتاب الكامل في اللغة والأدب**، بيروت: مكتبة المعارف، (د.ت).

* مجهول....

١ ـ **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، تحقيق (de Goeje)، ط بريل، ١٨٧١.

* مجهول... (المؤلف من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي).

١ ـ **أخبار الدولة العباسية**، وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار، بيروت، ١٩٧٢.

* المسعودي، علي بن الحسين (٣٤٦/ ٩٥٧).

١ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت: دار الأندلس، ١٩٧٣.

* مسلم، بن الحجّاج النيسابوري (٢٦١/ ٨٧٤).

١ ـ **صحيح مسلم**، طبقة بولاق ١٢٩٠.

* المقدسي، شمس الدين محمد (٣٧٥/ ٩٨٣).

١ ـ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط. ليدن، ١٩٠٦.

* المناوي، عبد الرؤوف (١٠٣١/ ١٦٢٢).

١ ـ **الكواب الدرّيّة في تراجم السادة الصوفية**، باعتناء محمود حسن ربيع، القاهرة: مطبعة الأنوار ١٣٥٧/ ١٩٧٨.

* النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (٦٧٦/ ١٢٧٧).

١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق فرديناند وستنفلد، غوتينغن، ١٨٤٢ ـ ١٨٤٧.

* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (٦٢٦/ ١٢٢٩).

١ ـ **معجم البلدان**، بيروت: دار بيروت ـ صادر، ١٩٥٥ ـ ٥٧.

* اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن واضح (٢٨٤/ ٨٩٧).

١ ـ **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: دار صادر ١٣٧٩/ ١٩٦٠.

٢ ـ المـراجع:

أ ـ المراجع العربية:

* الحاجّ علي، عصام.

١ ـ **داود بن نُصير الطائي «الفقيه الزاهد»**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

٢ ـ **الإمام سفيان بن سعيد الثّوري «سيّد الحفّاظ»**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢/ ١٩٩٢.

٣ ـ **الإمام سفيان بن عُيينة الهلالي «محدّث الحرم المكّي»**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

٤ ـ **الإمام شُعبة بن الحجّاج الأزدي «سيّد المحدّثين»**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣/ ١٩٩٣.

٥ ـ **الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١/ ١٩٩٠.

٦ ـ **الفُضيل بن عِياض «إمام الحرم وشيخ الحجاز»**، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥/ ١٩٩٥.

* الزركلي، خير الدين.

١ ـ **كتاب الأعلم**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

* عمر، فاروق.

١ ـ **طبيعة الدعوة العباسية**، ط ١، بيروت: دار الأندلس، ١٣٨٩/ ١٩٧٠.

* الكتاني، محمد بن جعفر (١٣٤٥/١٩٢٦).

١ ـ **الرسالة المستطرفة لبيان كتب السُّنّة المشرّفة**، بعناية محمد الكتاني، دمشق: دار الفكر، ١٣٨٣/ ١٩٦٤.

* ماجد، عبد المنعم.

١ ـ **التاريخ السياسي للدولة العربية**، ط ٣، بيروت: مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٦.

٢ ـ **العصر العباسي الأول، التاريخ السياسي**، ط ٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩.

* النبهاني، يوسف بن إسماعيل (١٣٥٠/ ١٩٣٢).

١ ـ **جامع كرامات الأولياء**، بيروت: دار صادر، (د.ت).

ب ـ المراجع الإفرنجية:

1 - Encyclopedie de l'Islam.

الفهرس

الإهداء ٣

مقدمة ٥

توطئة تاريخية: الأوضاع السياسية في البصرة منذ تأسيسها
وحتى وفاة الحمّادين ١٣

١ ـ البصرة في العهد الراشدي ١٤

٢ ـ الأوضاع السياسية زمن الأمويين ١٩

٣ ـ الحالة السياسية في العهد العباسي ٣١

الباب الأول
أخبار الإمام حمّاد بن سلمة

الفصل الأول: نشأة حمّاد بن سلمة ومكانته الفكرية ٤٣

١ ـ مولد حمّاد، ونشأته العلمية ٤٥

٢ ـ مكانته الفكرية ٥٧

الفصل الثاني: حفظ حمّاد بن سلمة وموقف العلماء منه ٦٩

١ ـ قدرته على حفظ الحديث وإتقانه له ٦٩

٢ ـ مآخذ العلماء على حمّاد بن سلمة ودفاع بعضهم عنه ٧٨
الفصل الثالث: آخر نشاطات حمّاد بن سلمة، ونهايته ٨٦
١ ـ نشاطه الديني والسياسي ٨٦
أ ـ نشاطه الديني ٨٦
ـ عبادته وتقواه ٨٦
ـ زهده وورعه ٩٣
ب ـ مواقفه السياسية ٩٨
٢ ـ نهاية ابن سلمة وتقويمه ١٠١
أ ـ وفاته ورؤى الناس له ١٠١
ب ـ تقويم ابن سلمة من خلال تبجيل العلماء له ١٠٥

الباب الثاني
أخبار الإمام حمّاد بن زيد

الفصل الأول: نشأة حمّاد بن زيد ونشاطاته العلمية ١١١
١ ـ مولده ونشأته العلمية ١١١
٢ ـ حفظه وإتقانه ١١٦
٣ ـ علمه برواة الآثار وناقلة الأخبار ١٢٠
٤ ـ مفاضلة بين حمّاد بن زيد ومعاصريه ١٢٦
٥ ـ إمامته وأهميته الفقهية ١٣٠
الفصل الثاني: نشاطه الديني ونهايته، ومقارنته بابن سلمة ... ١٣٧
١ ـ نشاطه الديني ١٣٧
أ ـ عبادته وتقواه ١٣٧
ب ـ موقفه من أهل البدع ١٤٢

٢ ـ نهاية ابن زيد وتقويمه ١٤٦
أ ـ وفاته ورثاؤه ١٤٦
ب ـ تقويم ابن زيد ١٥٠
٣ ـ مقارنة بين الحمّادين استنادًا لشهادات معاصريهما ١٥٦
خاتمـــة ١٦٧

ملاحق الكتاب

ـ ملحق رقم (١) أحاديث مختارة رواها حمّاد بن سلمة بسنده عن رسول الله (ﷺ) ١٧٥
ـ ملحق رقم (٢) بعض الأحاديث التي رواها حمّاد بن زيد بسنده عن رسول الله (ﷺ) ١٧٩

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ المصادر ١٨٤
٢ ـ المراجع ١٩٤
أ ـ المراجع العربية ١٩٤
ب ـ المراجع الإفرنجية ١٩٥